16 em Année No. 792

Lundi — 6 — 9 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ــــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٩٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

انقذوا اللاجئين أولا !

للأستاذ نقـــولا الحداد

يا للعار ! ... عدد العرب فى الممالك العربية السبع يناهز الأربعين مليوناً ، وعدد اليهود فى فلسطين لايتجاوز ثلاثة أرباع المليون ! أفليس عجيباً أن اليهـود يطردون نحو نصف عرب فلسطين من بلادهم فى حين كان العرب يتحفزون لطرح اليهود فى بحر الروم !

أو ليس مخجلاً أن يفر أطفال عرب فلسـطين ونساؤهم وشيوخهم من أمام فصيلة الحيوانات الشرسة الطاغية ، ورجال العرب لايقفون فى وجه هذه الفصيلة المتوحشة لـكى يردوا طغيانها عن الأطفال والنساء ؟ !

يعتذر العرب بأن الانتداب الانكليزى المشؤوم حال دون الجنود العرب بحجة أن الانتداب كفيل بحفظ الأمن ، فهو الذى كان مـؤولا عن طغيان اليهود ، ولـكن إذا كان هذا الانتداب لم يستطع حماية الانكليز أنفسهم فهل يحمى العرب ؟ لم يكترث اليهود بقوة الانتداب ولا بقوة جنوده التسـمين ألفاً ، فكانوا يعتدون على الانكليز والعرب على السـواء ، وكان الانكليز المتكفلون بحفظ الأمن يستخذون المرة بعد المرة !

فلماذا كان العرب يتهيبون قوة الانتداب ؟ ماذا كان يحدث لو هب الجنود العرب لحماية الأطفال والنساء غير مبالين بالقوات الانكليزية كما كان يفعل اليهود ؟ فهل كان الانكليز يرتدون عليهم ويقاتلونهم وعندئذ يظهر تحيزهم واضحاً ؟ وهب أن التسمين ألف جندى انكليزى غلبوا العرب ، أفليس هذا أشرف من أن يذلوا اليهود ؟ !

دعنا من هذا التثريب فيما مضى ، نحن الآن أمام كارثة قد تكون أفظع من كارثة ضياع فلسطين : إن ثلاثة أرباع مليون مشردون لاجئون إلى إخوانهم فى الممالك العربية السبع !

حكومة شرق الأردن تقدم كل يوم ٢٢٠٠ جنيه أى ٦٦ ألف جنيه كل شهر وهى أصغر الدول العربية ، فإذا كانت كل دولة تبذل مثل هذا المبلغ بنسبة عدد أهلها كان فى وسعها أن تقدم فى الشهر ٥ر٢٨٠ر٠٠٠ ، ونحن لا نريد أكثر من ثلث هذا المبلغ ، فأين النخوة العربية التى « كلما دق الكوز بالجرة » تبجحنا بذكرها وفاخرنا جميع أمم الأرض بها .

عندنا مئات المليونيين فى مصر والشام والعراق الخ ، فإذا كان هؤلاء يوفون الزكاة التى بدون وفائها لا يكون المسـلم مسلماً أمكنهم أن يجمعوا كل شهر القيمة المطلوبة ضعفين أو ثلاثة . . . فأين أنتم أيها المؤمنون توفون دينـكم لله ؟ وإلا

فأنتم منكرو نعمة الله !

إن بترول الحجاز والعراق والبحرين ليس لأهل العراق ولا لأهل الحجاز ولا لأهل البحرين ، إنما هو ملك الله ، لأنهم لم يزرعوه حتى يستغلوه ، ولا صنعوه حتى يتاجروا به ، فيجب عليهم أن يدفعوا ضريبة ثقيلة عليه لله ! !

يجب أن نحاسبهم ، أو أن الله يحاسبهم ، وحسابه صعب جداً !

أوليس عاراً أن ننتظر من الجنرال جلوب والمستر سبيرز وغيرهما من أنصار العرب أن يتسولوا لكم مئة أو بضع مئين من الجنيهات وهي « لا تقيم حجة ولا تقلي عجة » في إغاثة المنكوبين ؟ ألا تكفيهم هذه النجدة أسبوعاً أو أسبوعين؟ وبعد ذلك بمن يلوذون؟ أبكم أم بالموت ؟؟ ! ! !

أتستسيغون أن تحذوا حذو اليهود في أمريكا وهم أغنى أغنيائها حتى كانوا يتسولون المال من نصارها بلا خجل ولا حياء ، حتى جمعوا من هذا التسول نحو ١٧٢ مليون ريال . ولما سئل عميدهم أين يذهب هذا المال ؟ قال ٤٢ بالمئة منه يذهب إلى فلسطين ، والباقي إلى منكوبي اليهود في أوربا .

فبغت ذلك النصراني الذي كان قائماً بجمع المال لهذا الغرض الذي يسميه إنسانياً ، وما شعر إلا حينئذ أن اليهود لا يقدرون هذا العمل الإنساني ، بل يحسبونه ربحاً جزاء الحيلة التي احتالوها على ذلك الرجل الإنساني لكي يحض إخوانه النصارى على هذا العمل الإنساني . فأجاب : لا . لا . هل أنا أجمع المال لكي ينفقه اليهود في حرب العرب ، أم لكي ينفق على المتشردين اليهود ! هنا أكف عن هذا المسعى . السلام عليك .

عار يا قوم وأي عار أن تتدفق خزائنكم بالأموال وأنتم ناعموا البال ، ثم تصموا آذانكم عن صراخ إخوانكم وتغضوا أبصاركم عن شقائهم ! !

يا ناس ! إن إنقاذ اللاجئين أهم من إنقاذ فلسطين الآن ! فلتهتز أريحيتكم ولتتحرك عواطفكم قبل أن تبتلوا بما ابتلى به إخوانكم عن يد يهود فلسطين أنفسهم ! المصيبة مصيبتكم ! والويل ويلكم ! أما أحسستم بالألم والشقاء ؟ أم أن أعصابكم مخدرة ؟ أم أن عقولكم سكرى ؟ أم أنتم في غيبوبة ؟ أم في سكرة الموت أو حشرجته ؟ !

وأما الجامعة العربية الموقرة ... فحتى متى تصبر على مراوغة برنادوت والوقت يأكل من لحم فلسطين ويمتص من دمها ... بل يتهم من مهج العرب أجمعين ، وكل يوم يقولون لنا إن اليهود خرقوا الهدنة ١٨ مرة ... فحتى متى أنتم صابرون ؟ !

إن هذا الصبر مضيع القدس أولا ، ثم فلسطين ثانياً ، ثم البلاد العربية كلها آخراً ... أفما تحسون ؟ !

كفى تواكلا وتماهلا وتخاذلا ! إن الله يرذل المتخاذلين ! إن إنقاذ اللاجئين قبل إنقاذ فلسطين ! أيمكن ألا يكون هذا ولا ذاك ؟ !

نقولا الحداد

طـــــاغور وغاندى
بين الشرق والغرب

للاستاذ عبد العزيز محمد الزكى

— ١ —

لقد أخذ الشرق العربى يتخوف من الدول الغربية الكبرى وأخذ يشك فى قيم حضارتها المادية ، بعد أن خانت عهودها معه ، وسخرت من عواطفه القومية ، وداست على رغباته فى الرقى والتقدم ويود اليوم كل عربى استكان فى فترة من الزمن لثقافة الغرب ومدنيته ، ورضى أن يعتمد عليها فى حياته المادية والمعنوية ، أن يغير نظرته إلى الغرب ، ويفكر فى الاستغناء عنه فى كل شئ .

ولقد سبق طاغور وغاندى العالم العربى فى هذه المشاعر ، بعد أن عانت الهند ماعانت من عذاب الاستعمار الانجليزى . فوهب طاغور العالمى النزعة والتفكير ، جميع طاقاته العقلية فى سبيل وضع تصميم حديث للحياة الإنسانية ، استوحاه من فكرة وحدة الوجود الهندوكية ، ودمج فيه حضارات الشرق فى حضارات الغرب ، وجمع بين زبدهما الثقافى ، وأراد به أن ينشئ عقلية عالمية تخلص من ناحية من مادية الغرب وأنانية شعبه وحبه للسيطرة وإمعانه فى الإباحية التى تجعل استتباب الأمن ونشر السلام فى العالم مستحيلا ، وتنشر التذمر والضيق فى جميع البلدان . وتتحرر من ناحية أخرى مما علق بالحياة الهندية من تقاليد قديمة عرقلت نهضة الهند وعاقت تقدم شعبه ؛ فإن التشاؤم واحتقار الحياة وتحاشى الإنغماس فيها ، قضى على نشاط الهنود المادى ، وأدى إلى تأخرهم فى مختلف نواحى النشاط الإنسانى ، فأنتج نتاجاً فكرياً روحياً إنسانياً عالياً ، يخلو من شوائب الحضارات الهندية وضلالات الحضارات الغربية ، ومن نقائص المدنيات القديمة والحديثة والمعاصرة جميعاً ، وتدعمه الأصول الروحية ، ويرفع من صرح الأخلاق والفضيلة والدين ، ويعطى للعلم والفن والعمل قيمة جليلة فى الحياة البشرية . بينما هب غاندى الزعيم الوطنى ، يجاهد فى سبيل حرية الوطن بسلاح معنوى استلهمه من فكرة الحب والتسامح التى تكاد تنادى جميع كتب الهند الدينية بضرورة اتباعها ؛ واستغلها بدهائه الروحى فى مقاومة الاستعمار البريطانى فى الهند ، واتخذ من المقاومة السلبية التى أقامها على اللين وعدم الانتقام ، سبيلا دينياً لإشعال الحمية الوطنية وتقوية الحماسة القومية ، ونهجاً سياسياً يرد به للهند استقلالها ، ويمنحها حريتها المسلوبة .

وقبل أن يحدد طاغور الهندى موقفه من حضارات الغرب والشرق ، تأمل فى تراث الحضارات الغربية القديمة فوجدها جميعاً قد نشأت بين جدران مدن أشادها الإنسان ليحمى نفسه من شر أخيه الإنسان ، أو ليقى حياته من هياج قوى الطبيعة . فمنعت هذه الجدران إتصال الشعوب بعضها ببعض ، وعاقت إختلاط الثقافات وتمازجها ، وقضت على تبادل الحب والمنفعة ؛ كما حالت دون ائتلاف الإنسان بالطبيعة . فشب الغربى أنانيا ، يوجه كل إهتمامه نحو نفسه ، أو نحو بنى مدينته يفضلهم على الغرباء عن وطنه الذين ينظر إليهم كمنافسين خطرين له ولأهله ، يجب عليه أن يغتصب منهم كل ما يستطيع أن يغتصبه قبل أن يغتصبوا منه شيئاً مما يملك ، ونشأ ساخطا على الطبيعة ، يخاف غضب قواها ، ويتصورها عدوا له ، يجب أن يحذره ، ليحفظ كيانه من شدة تقلباتها ، وليتقى خطر زوابعها عنه . فغرست هذه الحياة فى نفوس الغربيين الأنانية وحب السيطرة ، وصرفت نشاطهم إلى بسط نفوذهم على ما يحيط بهم من بلدان وشعوب ، وصرفت أعمارهم لمكافحة الطبيعة والسيطرة عليها ، ودفعتهم إلى أن يمتنوا عناية فائقة بشحذ مختلف مواهب الإنسان وملكاته سواء أكانت عقلية أم فنية ، وبكسب مهارات صناعية ، وقدرات يدوية لتساعدهم على محاربة الطبيعة ، واستغلال الفقراء ، وإذلال الشعوب الضعيفة . وكان ذلك كله سبباً فى تفوق الغرب فى العلوم والفنون ، وعلة تأسيسه حضارة استكملت نهضتها بتقدم البحث العلمى ، واختراع شتى الآلات الصناعية والأدوات الحربية التى تشهد بمقدرة الغربيين فى الصناعة والحرب ، وتدل على مهارتهم فى توزيع مصنوعاتهم وترويجها فى أسواق الأمم القريبة والبعيدة . فعادت عليهم بأرباح وفيرة وثروات طائلة أقنعتهم بأن تصريف

أمور الحياة الأرضية لاتخضع إلا للمال . فآمن الغرب بأن المال هو الغاية القصوى ، التي يجب أن يبذل الإنسان كل قواه في سبيل الإكثار منه ، واعتبره الوثن الأوحد الجدير بالعبادة والتقديس .

فأعجب طاغور بنشاط الأمم الغربية ، وقدر مساعيها الجليلة في تقدم العلوم والفنون ، وسر من جدها الدائم في ترقية مستوى الحياة الإنسانية ، ولكنه في الوقت نفسه سخط على أنانية الغرب وماديته ، واشمأز من جريه القبيح وراء المال ، واحتقر تفضيلة الرذيل لبني جنسه ، وتقزز من استعماره المشين للشعوب الوديعة . لأن ذلك يخالف ماجبل عليه ، ويغاير ما تعود أن يعرفه عن الهند وما تعلمه من الهنود .

فلقد عاش أهالي الهند منذ القدم في غابات فسيحة غنية بشتى الغلات ، فلم يجد الهندي صعوبة في العثور على طعامه وشرابه ، وتيسر له بناء مساكن من أخشاب الأشجار ، تحميه من الحيوانات المفترسة ، والطبيعة الهائجة . فتأثر الهنود بحياتهم الأولى في أرجاء غابات تحتوي على مختلف الخيرات ، وتبلغ من الإتساع بحيث يمكنها أن تحتضن ملايين الناس ، وتمدهم جميعاً بالطعام والشراب ، وتوفر لهم المسكن . فنشأ الهندي منذ القدم لا يعرف الكد في البحث عن غذائه ، ولا النصب في الحصول على مواد بناء مسكنه ، لأن الغابات تضع كل ذلك في متناول يديه . فلم يشعر بعداوة الطبيعة ، لأنها مهدت له سبل الحياة ، كما لم يجد ضرورة لأن يمتلك أرضاً معينة ، يقيم حولها حواجز وتخوما تقيها من طمع الآخرين ، وتفصلها عما يمتلكه الغير ، لأن كثرة ما في الغابات من خيرات متنوعة يسهل الحصول عليها ، لم يدع أحداً يفكر في أن يخص نفسه بامتلاك شيء من دون بقية الناس ، مادام كل شيء يجب أن يناله يمكن أن يفوز به بدون مشقة .

فلم يقف حائل بين الهندي والطبيعة فأحبها ، وارتاح إلى الحياة في كنف حنانها ، ودعا إتصاله الوثيق الدائم بها إلى ائتلافه بكل جزء من أجزائها ، وإلى نجاة أفكاره من الرغبة الجامحة في بسط نفوذه على الطبيعة ، أو إمتلاك أرض يشيد حولها أسواراً خوفاً من أن يسطو عليها أخوه الهندي . وبعث جمال الطبيعة وتناسقها في نفسه شعوراً عميقاً بأن جميع مكونات الوجود في وحدة شاملة وأدرك أن كمال الإنسان في معرفة هذه الوحدة ، وأيقن أن الطريق الوحيد الموصل إلى هذا الكمال ، هو تلاشي فرديته في جميع محتويات الكون ، أو بإدماجها في كل ما حوله من كائنات . فساقه هذا الشعور إلى أن يقصر حياته على تحقيق هذه الوحدة ، وإكتساب الوسائل الصالحة التي تساعده على إفناء ذاتيته في الوجود بأكمله . ولم يفكر قط في محاربة الطبيعة ، لأنه عرف أن الإنسان متحد بها ، ولم يرغب في السيطرة على قواها ، لأن أفكاره في اتحاد مع جميع الأشياء ، ولأن قوى الإنسان متحدة مع قوى الطبيعة وأغراضه في الحياة تتفق وأغراض الطبيعة .

فتشبعت العقلية الهندية بحقيقة وحدة الوجود ، وأصبح إدراك هذه الحقيقة الكبرى محور حياة قدماء الهنود ، وموضوع دينهم ، وغاية عبادتهم ، وسبب سعادتهم القصوى . وأصبحت رغبة الاتحاد بالله الذي يتجلى في مختلف أجزاء الوجود شاغلهم الشاغل ؛ فانصرفت كل مشاعرهم وأعمالهم إلى العثور على هذه الوحدة لأنهم لن يجدوا الراحة أو الأمن أو السلام ، ولن يذهب عنهم الخوف والقلق والاضطراب والشك والحزن ، مالم يدركوا فكرة اتحاد الكون التي يتطلب وعيها وعياً صادقاً حياة فكرية منعزلة طاهرة ، لا تؤثر فيها مشاغل الحياة .

فاختار زهاد الهنود أماكن نائية عن صخب الحياة الاجتماعية ومغريات مفاتنها ، وتبدو فيها الطبيعة على قسط كبير من العظمة والجمال ، حتى تبهر الفكر ، وتغريه بهجرة الحياة ، والتحرر من حدودها المادية الضيقة ، والتخلص من ضرورياتها الزائفة ؛ وحتى تنبسط في ربوعها الروح ، وتتلمس في كنف روعة الطبيعة وجمال تناسق أجزائها مكانتها في الوجود .

ولم يجد الهنود مكاناً أفضل من غابات الهند الطويلة العريضة التي توفر الاعتكاف على النجاة من مفاسد الحياة وتتحلى بجمال رائع متناسق ؛ فلجأوا إليها يمقتون ذاتهم ، وحولها إلى معابد متنقلة يأوي إليها الزهاد والحكماء ، يستوحون من عظمتها وجمالها حقيقة الوجود الأولى ، وينشدون من عزلتهم حبس جهودهم على الفوز بأكمل مراتب الحياة الروحية .

فهيأت العزلة الفكرية للهنود فرصا للغوص فى عوالم من المعانى الروحية أنارت نفوسهم ، وكشفت لهم عن مثل إنسانية ، ومبادىء أخلاقية وقيم دينية ، ودفعتهم إلى سلوك طرق فاضلة ، واتباع نُهج طاهرة ، بينت للبشرية أن الهند بروحيتها أفادت الفكر الإنسانى ، وأضفت عليه قبساً من النور السماوى ، وأضافت إلى الحضارات حضارة تسمو عليها جميعاً فى الروحية ، وهذا كسب عظيم للانسانية يشرف الهند . إلا أن الهند بجريها الحثيث وراء الروح أهملت الحياة الأرضية إهمالا معيبا جعلها لم تبال بتنمية مواهبها الفكرية ، أو إنضاج إستعداداتها الفنية ، لكى تكتسب ملكات عقلية ومهارات صناعية ، تظهر بها تفوقها فى ساحات السياسة والاقتصاد والحرب ، وهى دعائم السيادة الحديثة . فلم تمتن بالعلوم التى هى أساس كل تقدم مادى أو نفوذ سياسى أو سطوة حربية ، فنشأ الشعب الهندى غير متمرن على أساليب الحرب ، لا يتقن وضع خطط الدفاع والهجوم فاستولى الطغاة على بلاده ، واستعمروا وطنه . وشب غير مدرب على الفنون الاقتصادية ، جاهلا السبل العبقرية فى جمع المال بعيداً عن جبل السياسة الملتوية ؛ تخدعه المستعمر ، واستغل موارده الطبيعية لمصلحته الخاصة من دون الهند صاحبة الحق الأول فى الاستفادة من هذه الموارد .

فعاب طاغور على الهنود جهلهم بمقومات الحياة العصرية ، وأنبهم على نفورهم من مشاكل الحياة الاجتماعية ، وحثهم على الإندماج فى ميدان الحياة العامة ، يؤدى كل منهم خدمات تعود على أهله أو الهند أو البشرية بالنفع والفائدة ، مادامت هذه الخدمات لا تخرج على تعاليم الدين أو تهدم قيم الأخلاق . ورغبهم فى الاشتغال بالعلوم والفنون ، مادام الاشتغال بها لا يتعارض مع تطهير الروح ، أو يعوق خلوصها من الدنس . بل إن العلوم والفنون والأعمال التى يواغها فاضلة تقود إلى الفناء فى الله ، وتوصل إلى أعلى درجات الكمال الروحى ، فيجب على الهند أن تقلع عن تمسكها بتقاليد قديمة بالية أو هنت من عزيمتها ، وتترك جانباً النظرات التشاؤمية التى عاقت سعيها فى أى إصلاح ، وزعزعت ثقتها فى الحياة الأرضية فمهدت لاستعمارها واستغلالها .

وبتحليل طاغور الدقيق للحضارات الهندية والغربية ، كشف بذهنه الصافى عن أخطاء الحياة الدولية ، وعن مدى تأخرها فى الروحية ؛ ولكى ينقذها مما هى فيه من فوضى وإثم حرض الهند على رفع مستوى حياتها المادية والفكرية فى حدود الأصول الروحية حتى لا تكون فريسة سهلة الاقتناص من جهة ، وحتى لا يتفشى فيها وباء المادية وأمراض الحياة الغربية من جهة أخرى؛ وبين للغرب أن الإنسان يمكنه أن يفكر ، ويكشف القوانين ، ويخترع مختلف الآلات ، ويبتكر فى الفنون والصناعات ، ويحافظ فى الوقت نفسه على الميول الخيرة فى الطبيعة البشرية ، ويكون روحياً غيريا محباً للانسانية ، ويتخذ من علمه وفنه وعمله وسائل متعددة للفناء فى الله وفى مختلف أجزاء الوجود . فحول طاغور الأنانية إلى غيرية ، وحب السيطرة إلى تعاون وتآلف وتحاب ، وحول العلوم والفنون والأعمال إلى أضراب متنوعة من العبادة بأن جعل محراب العلم لا يقل طهارة عن محراب المعبد ، وسما بقداسة الفن حتى عادلها بقداسة الدين ، واتخذ من العمل المنتج الصالح صلاة توقع بالإنسان إلى خالقه . واعتبرها جميعاً سبلا طيبه تعمل على بلوغ نمط من الرقى الروحى ، ينمحى فيه شعور الفرد بشخصيته ، ويغمره إحساس عذب بفناء روحه فى ذات الله العليا ، ويستولى عليه إدراك عميق بوحدانية الوجود .

وعلى هذه الصورة الرائعة طهر طاغور الفكر الإنسانى من أشرار الأنانية ، وحب السيطرة ، ومن نقائص العزلة الفكرية ، ومساوىء تجنب الحياة الإجتماعية والعملية ، وأخطار النظرات التشاؤمية . وجمع بين نبوغ الغرب فى العلوم والفنون ، وجده المستمر المتجدد فى العمل ، وبين عبقرية الشرق الروحية ، وتعلقه الوطيد بالحب والتآلف ، فوضع للانسانية دستوراً شريفاً لو اتبعته لتذوقت طعم الراحة والسلام والأمن التى تحن إليها ، وتحررت من كل ما ينغص عليها الحياة ، وعاشت سعيدة فى وئام ، يشملها الحب والإيثار ، ويضمها الخير والود ، ويعلو من شأنها العلم والفن والعمل .

(للكلام بقية)

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

رحلة الى ديار الشـــام

فى القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجرى)

(الحلة الذهبية فى الرحلة الحلبيــة)

لمصطفى البكرى الصـديقى

للأستاذ أحمد ســامح الخالدى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وفى أواخر شوال سنة ١١٢٩ شرع الشيخ فى عمارة الخلوة التحتانية البيرمية ، وساعد فى عمارتها جناب عثمان باشا المهتدى ، وصار الإخوان يجتمعون فيها للأوراد . وزار مقام النبى موسى بصحبة صديقه الشيخ محمد الخليلى ، وجمل مقره فى خلوة الشيخ يونس شيخ الحرم . وقبل العيد الكبير سار الوزير [رجب باشا] لملاقاة الحج . وبعد قدومه من ملاقاة الحج جاء البشير باسناد منصب ولاية حلب لرجب باشا ، فسر الشيخ ، وقد توجه الوزير ، وكان صديقاً للشيخ إلى حلب فى شهر ربيع الأول . وفى ربيع الثانى عزم الشـيخ على زيارة الخليل ومنها إلى غزة وعسقلان ووادى النمل ويختم بزيارة على بن عليم العمرى . وتوجه ومعه الشيخ محمد الموقت ، والشيخ نور الدين الهوارى والشيخ رضوان الزادى ، ونزل دارا قريبة من الحرم يورد عليه الشيخ عبد الرحمن الخطيب والشيخ محمد الطرعانى والأخ محمد القميرى صاحب الميقات وغيرهم . وكان الشيخ ابراهيم الدكانى ينشـد لهم من قصيدة للشيخ عبد الغنى النابلسى مطلعها :

أنت قيد الوجود إن غبت غابا   وإذا ما ظهرت كنت حجابا

وقصـد زيارة عسقلان ، فتوجه إلى بيت (جبرين) ونزل لدى علمائها ، ومنها إلى (الفالوجة) وزار الشيخ أحمد الفالوجى ، وسار نحو المجدل ، وبات عند رجل معبِّد ، يقال له ابن معبد ، وأم عسقلان وزار شهداء المركتين ووادى النمل ، وأتى قرية (الحورة) وتوجه إلى قرية (حمامة) وزار الشيخ أبى عرقوب ، وبايع عنده الشيخ يحيى المجدلاوى وابن أخيه ، وسار فى الليل وبات عند العرب الموالح ، وسار إلى الرملة مدينة فلسطين ، وصلى العصر فى جامعها الأبيض ، ونوى أن يتمداها إلى (لد) وزار مقام سيدنا على رضى الله عنه ، كما زار الجبانة ، وبات عند الصديق المسعود الأعلى الشيخ أبى السعود الممدود العلمى ، فأكرمه وفى الصباح قصد زيارة أخيه الشيخ حسين العلمى . ثم توجه إلى قرية (عابود) ومنها إلى قرية (سـلفيت) وبات بها ، وتوجه فى الضحوة إلى نابلس ونزل فى التكية الدرويشية ، وبلغه وهو فيها أن الشيخ محمد الخليلى ومعه النقيب السـيد محب الدين يقصدان الشام للاجتماع بمتوليها قريباً جناب رجب باشا ، للسلام . وكان قريبه الشيخ ابراهيم بن سعد الدين الجباوى قد وصل إلى نابلس بعد أن زار الخليل ، فسلم عليه ، ومن بنى سعد الدين جدة جد الشيخ فهم أخواله ، وبقى الشيخ فى نابلس فى التـكية . وكان معمر الدرويشية سيفى أغا البكداشى الطريقة ذهب للديار الرومية ، وأبقى مكانه شاباً اسمه أحمد . وممن زاره حسين بيك بن شرة ، ودعاه لداره مع الأخوين السلفيتى والموقت فقبل دعوته . ودار بينه وبين الدرويش أحمد البـكداشى حديث وقد أخبره الشيخ عن الشيخ عبد الغنى النابلسى أنه قال بمناسبة حمل البكداشـية للبوق وضربهم به فى المساء والشروق ، أنهم إنما يفعلون ذلك لتنفير الوحوش فى المهمة الوحش الفروش ، لأنهم يسيحون فى المهاد فيحتاجونه لدفع أنكاد ، فقال الشيخ نعم أنهم يضربونه لطرد وحوش الخواطر فى مهمة القلب الوحش الفروش بغير المواطر . ثم إلى قرية (حجة) وأقام بها فى خلوة الجامع المرتفعة مع إخوانه . ورأى عند الشيخ محمد شرح الجزائرية للشيخ قاسم الخانى ورأى بخطه قصيدة أبى مدين الغوث التى مطلعها :

ادرها لنا صرفاً ودع مزجها عنا   فإنا أناس لا نرى المزج مذ كنا

وسـار نحو قرية (عزون) وبعد الأكل وشرب القهوة عاد إلى (حجة) وكتب منها مكتوبين للاخوان ، وودع رفاقه ، وتوجه إلى (المجـدل) قرية من قرى بنى صعب ، وإذا بخيول تتجارى فى سهول الغابة وانقشع الغبار عن سحابة ، فقيل له أن تلك الخيمة الزاهرة اللامعة نصبت للوزير جناب رجب باشا أمير الحاج صديقه ، فأراد الاجتماع به ، وما تيسرت الأقدام حتى ارتفع ذلك الخام ، فجد بالسـير نحو (عيتل) وبات فيها عند الشيخ عبد الله المغربى ، ثم توجه نحو قرية (المويج) وكان قد عمرها

الشيخ صالح بن الشيخ سهل ، فرحب به ، وأقام بها يومين ، وكرر شرب القهوتين ، السوداء والبيضاء ، ودعاه الشيخ قاسم أخو الشيخ صالح قرية (المغار) وزار جدهم رفيع المنار وبات فيها أربع ليال ، ولم يزل يسير إلى أن وصل قرية من قرايا مدينة صفد التي صفاها بالاندثار مصفد ، فأنزله الأخ محمد عند صديق يقول له أسعد ، فبات عنده ليلتين . ثم بات فى قرية ملئت بالفرقة الدرزية عند رجل من أهل السنة وبكر منها إلى جنان (حاصبية) ومنها إلى كفر كوك الدبس ، ومنها إلى كفرقوق الفستق ، ومنها إلى حارة القبيبات ، ونزل فى دار المكارى للراحة ، لا للبيات ، ووصل دار صهره الشيخ اسماعيل التي جددها .

وكان قد نزل الخلوة بتوصية منه إلى صهره ، جناب الصديق السيد محمد التافلاتى ، مفتى القدس ، والذى رافقه فى طرابلس الشام . وجاءه للسلام وودعه فى اليوم الرابع فانتقل الشيخ إلى الخلوة وأخذ بزيارة جدوده ، لدى الشيخ أرسلان ، والصالحية فى دمشق ، وزار شيخه الشيخ عبد الغنى النابلسي وبات فى خلوة داخل الجامع المحيوى ، ومفتاحها بيد خادمه الشيخ ابراهيم الختمى ، وبايع فيها شاب يدعى عثمان حرشى ، وعاد فى الصباح من طريق عين الكرش إلى مرج الدحداح وزار جده الأعلى سيدى محمد عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ثم شيخه المرحوم الشيخ عبد اللطيف ، ثم توجه إلى جنينة تحت القلعة وزار سيدى عدى بن مسافر ، وقبره ملاصق لشجرة عظيمة مكتوب عليه عدى بن مسافر كتابة قديمة ، وللمذكور ديوان ، وعاد مع رفاقه للخلوة .

واجتمع الشيخ بوالى الديار صديقه [رجب باشا] وكان معه خبر قضية العم محمد أغا البكرى (١) الصديقى ، وقد فاتحه فى أمر زواج ابنته من الشيخ ، فوعده خيراً ، وأضاف أنه سيهبه مسكناً وسكناً ، ويدخله على ابنته فرضى منه الوزير ، بهذا الوعد المرقوبى ، وصار عينه به ، وسار الشيخ مع صهره إلى حرستى لحضور ختان ولديه السيد محمد أبى الفضل والسيد أحمد أبى الهدى . وأراد بعض الإخوان الرجوع إلى القدس وذلك سنة (١١٣٠ هـ) فحملهم كتباً للاخوان فى القدس ، ومنهم الشيخ محمد الخليلى ، وكتاباً للاخوان فى مدينة الخليل ومنهم الشيخ عبد الرحمن الخطيب التميمى ، وقصائد تصف شوق الشيخ إلى تلك الربوع .

ولما دخل شهر رمضان حرك الله همة عم الشيخ ، لزيارة البيت ، فقال الشيخ فى نفسه أن ذهابهم فى صحبة الوزير ، رجب باشا ، وكان أميراً للحج فيه فائدة ، أضف إلى هذا أنه يتقرب إلى قلب عمه ، ثم يقضى فرضه ، فرضى عمه بذلك ، وقد ذكر الشيخ ماوقع له فى هذه الرحلة فى رسالة سماها [الحلة الحقيقية لا المجازية فى الرحلة الحجازية] والتى انتهت بوصول الشيخ إلى الشام فى السابع والعشرين من شهر محرم سنة (١١٣١ هـ) .

ولما عاد الشيخ من الحج ، ألح الوزير على عمه انجاز ما وعد به بشأن زواج ابنته ، ولكن عمه لما بلغه خبر عزل رجب باشا عن الولاية عدل عما كان قد وعد به من أمور فيئس الشيخ وقطع أمله من ابنة عمه ، فعول على بيع بعض أملاكه وحصة فى بستان الدولاني والحاجب ، وبستان النصرانى ، وسود فى هذه المدة الفية فى التصوف .

وكان الشيخ قد فاتح السيد محمد السلفيتى ووعد الشيخ نور الدين الهوارى أنه إذا لم يحصل مع عمه اتفاق بشأن الزواج ، فإنه يرجع لأخذ ابنة بنت أخيه الروحى ، أى حفيدة السلفيتى فحسن له ذلك ، وعلى هذا عزم الشيخ على السفر إلى القدس للزواج وذلك فى أواسط ذى القعدة سنة ١١٣١ هـ مع جمع من الرفاق ، فودعه صهره فى المرجة فى دمشق ، وسار إلى (المزة) وزار قبر دحية الكلبى ، ومنها توجه مع جمالة (جينين) فى الليل واجتمع بالشيخ محمد بن يس الملقب طبيمة وبات فى خان سعسع ومنها إلى قرية الجيب ، وهى مشهورة بالسمن لجودته وهو مشهور فى قطرها بطيبته ، ومنها إلى الجسر ثم المنية ، ثم عيون التجار ثم جينين ذات المياه والأشجار ، وكان تعارف بالشيخ فى الطريق السيد مصطفى التميمى فدعاه إلى بيته فأجاب الدعوة .

وسمع بعد المغرب صوت خيل وطارق ، وإذا هو السيد محمد السلفيتى وسار فى الصباح إلى قرية (الزاوية) وأقام تحت شجرة البطمة ، وكان قد دخل هذه القرية أحد أجداد الشيخ رضوان واسمه قاسم فقال الشيخ مواليا .

(١) كان الشيخ مصطفى يأمل أن يتزوج من ابنة عمه محمد أغا البكرى ووسط الوزير فلم يفلح وأخيراً تزوج ابنة بنت السيد محمد السلفيتى ورزق منها بنتاً توفيت فى القدس .

قاسم حبيبك على ما تملكو قاسم   فرد علا فى المحاسن اسمه قاسم

بل سلو الكل إذ حبو الحبيب قاسم

لا زال فى حرز من يدعى أبا القاسم

ثم توجه للقدس وبات فى قرية (بيتونيا) ويقول الشيخ فى أمر زواجه « ويوم الخميس آخر ذى القعدة النفيس أقمنا فى الحرم نستقبل أهل الكرم ، وبعد مضى أيام الضيافة تعرضنا للنكاح بغير آفة ، وفى يوم الأحد جرى القلم به بحول الأحد ، أوائل ذى الحجة الحرام من العام ، العام الأنعام ، وليلة الخميس حصل الدخول الواجب التأنيس » وقد أرخ الزواج صديقه الشامى إذ قال « زفت الزهراء للقمر » سنة ١١٣١ هـ .

ولما حلت سنة ١١٣٢ هـ ، ومضى منها حصة ، تحركت همة الشيخ لزيارة القاهرة وذهبت بهذه النية إلى الخليل ، ولكن لم يتيسر له السفر إلى مصر فعاد إلى القدس . ولما عاد خطر له أن يخلف الأخ السيد محمد السلفيتى فباشر ذلك فى الزاوية[1] وألبسه الكسوة الخلوتية ، وأذن له الإذن العام .

« وقريباً من ختام هذا العام ورد الوزير ذو الاحترام رجب باشا متوجهاً إلى الكنانة بإقدام ، وطلب بإلحاح وإبرام أن نصحبه وجناب الشيخ محمد الخليلى المهام فقسم النصيب قهراً وسرنا معه إليها جبراً وقسراً ، وقد ذكرنا ما جرى فيها إلى سنة ١١٣٣ هـ . فى الرحلة المسماة « النحلة البصرية فى الرحلة المصرية » .

وبعد العودة من مصر شرع فى رسالة المنهل العذب السائغ الواردة فى ذكر صلوات الطريق وأوراده ، وكان فى مصر بيض الصلات البرية والألفية ومنهج الصوفية ، وأخذ عنه فى مصر الطريق الشيخ محمد الحفناوى . وفى سنة ١١٣٣ شرح الشيخ صلوات سيدى عبد السلام بشيش المسمى بالروضات العريشة على الصلوات البشيشة » ، وبيض « السيوف » الحداد فى أعناق أهل الزندقة والإلحاد » وتمرض الشيخ سبعة أشهر وأكثر ، وفى أواخر مرضه جاءت والدته لما سمعت بمرضه البدنى ، وجاء الوزير القدم أمير جردة ومعه الصهر الشيخ اسماعيل المدرس تحت القبة ، وودع الوزير فى الخليل وفى صحبته صهره الذى عاد للديار الشامية بعد أن اطمأن على صحة الشيخ .

وما زال كذلك إلى أن جاءه الخبر بأن عمه أصدر عليه حجة نفقة ووكل السيد محب الدين النقيب فى تحصيل ما حرر ، فاستخار الله فى السفر إلى جهة حلب لينال الظفر لأن الوزير (رجب باشا) صديقه منجم فيها بحال موفور فاستبشر وتوجه فى رحلة سماها (تفريق الهموم وتغريق الغموم فى الرحلة إلى بلاد الروم) . وقد أدرج الشيخ فى آخر هذه الرحلة ما ذكره فى الرحلة الرابعة والخامسة القدسية ، ثم المصرية ، ثم أوصلها بالرومية — انتهى .

أحمد سامح الخالدى

(١) زاوية فى القدس ، يرأسها الآن العارف بالله الشيخ عادل المولى الطرابلسى .

طرائف من العصر المملوكي :

من وحي حمــــاة

للأستاذ محمود رزق سليم

لا أدرى لماذا يهزنى شوق إلى حماة ، ويهفو قلبي إليها كلما ذكرت ، ويردد لسانى اسمها فى كثير من التقدير ، وأقف عند ترديده وقفة المتأمل المستلهم ، مستعرضاً على ذاكرتى لمحات من لمحات تاريخها الفياض ، فتشرق منه فى سماء الذهن ومضات من أمجادها الماضية ، يستشمر منها القلب ضروباً من الجلال والقدسية ، ويتجدد بهـا للنفس ألوان من الدهش والإعجاب ، بهذه المدينة الشامية المصرية المجيدة الساحرة :

حرت حقاً فى تعليل هذا الشعور الذى ينتابني كلما ذكرت حماة ، ولم تربطنى بها وشيجة ولا وليجة ، ولم تصل حبالى بحبالها ليال ولا أيام ، ولا اكتحلت العين بمرآها ولو مرة واحدة ، ولم يجش فى النفس أمل بلقياها والنعيم عهداً بالمقام فيها .

قلت للنفس : لعل هذا الشعور أثر من تلك الآثار التى أفدتها من مصاحبة تقى الدين بن حجة الحموى ، وليـد هذه المدينة ، وأحد أدبائها النجباء ، فلقد صاحبته فى بعض مؤلفاته ، ودراسة آرائه وأفـكاره ، وقرأت فى إمعان كثيراً من فصوله ، ووعيت فى إعجاب عديداً من مذاهبه . وكان رفيقاً فى صحبتـه ، حبيباً فى حديثه . حتى كان فى مقدمه الأسباب التى حببت إلى دراسة عصره ، ومهدت لى السبيل إليها ، وأنارت لى الطريق لبـلوغ مآربى منها .

ولقد راعنى منه فيما راع ، ولوعه بمدينته تلك ، ولوعا تردد صداه فى كثير من منشآته ، ولوعا لم يزايل قلبه ولم يفارق فؤاده فى يوم من الأيام ، على الرغم من انتزاحه عنها واغترابه منها زمناً طويلا . وتلك لعمرى مكرمة منها ومحمدة له ، جديرتان بأن تشمرا القلب بالجلال والإعجاب كلما ذكرت حماة .

لقـد ولد ابن حجة عام ٧٦٧ هـ بحماة ، ثم شب وتعاطى الأدب . وطفق ينشىء وينظم ما شاء له الفن والهوى . وطوف فى بعض الآفاق ، حتى اتصل حبـل وده وخدمته بسلطان مصر الملك المؤيد شيخ ، حينما كان أميراً فى بلاد الشام . فلما تم له أمر السلطنة فى مصر عام ٨١٥ هـ جمع من حوله حاشية من أهل وده ، ممن دانوا له بالولاء فى عهد إمارته ، وألقى إليهم بمقاليد الأمور . وكان من بينهم ابن حجة الحموى ، فاتخذه كاتبـاً من كتاب إنشائه . والـكاتب المنشىء حينذاك ، كان فى الديوان كما يكون الوزير للسلطان .

عاش ابن حجة حينئذ فى مصر زمناً . فـلم يلهه النعيم بها عن حماة . ولم تسله حاليات أيامه عندها ليالى لهوه ومدارج صباه فطفق يبعث إليها تحية اللهفان ، بين الآن والآن . ويحن إليها حنين النيب إلى العطن ، والهديل إلى السكن .

ويبدو أنه انتزح عنها فى أول أمره انتزاح المضطر الذى دعته الأحداث إلى الاغتراب . فظل حب حماة يساوره أنى سـار ، فلا يفتأ يتغنى بمحاسنها ، ويتشوق إلى مغانيها ، ويتغزل فى مفاتنها ويحن إلى مجانيها .

كتب — وهو بالقاهرة عام ٨٠٢ هـ — إلى صـديقه ابن البارزى بحماة ، قصيدة تفيض بالشكاية والأنين ، والشوق والحنين . استغرق ذكر حماة وأهلها أكثر أبياتها . وفى صدرها يقول مخاطباً ريح الصبا الذى يمر بها .

يا طيب الأخبار يا ريح الصبا ... يا من إليه كل صب قد صبا
يا صادق الأنفاس يا أهل الذكا ... يا طاهر الأذيال كم لك من نبا
يا من نراه عبـارة عن حاجر ... يا روح نجد مرحباً بك مرحباً
يا نسمة الخـير الذى من طيبه ... نتنشق الأخبار عن تلك الربا
بالله إن رنحت ذيلك بالحمى ... ووردت شعباً من دموعى معشباً
وهززت فيه كل عود أراكة ... أضحى بهاتيك الثغور مطيبـاً
ولثمت من ثغر الأقاحى مبسما ... أبدى بدر الطـل ثغراً أشنباً
ودخلت كل خباء زهر قد غدا ... بدموع أجفـان الغمام مطنباً
وطرقت حى العامرية ظامئاً ... فنعمت فى الوادى برباً زينبـاً
وحملت من نشر الخزامى نفحة ... مشمولة بالطيب من ذاك الخبا
عج بالمذيب فإن محجر عينـه ... أضحى لمـــا حملته مترقبـاً
واصحب عبير المسك منـه فإنه ... لشوارد الغزلان أضحى مشرباً
وإذا تنسمت الشذى وتمطرت ... منك الذيول وطبت ياريح الصبا

عرج على وادى حماة بسحرة | متيمها منـــه صعيداً طيباً
واحمل لنا فى طى بردك نشره | فبنشر ذاك الطيب لن نتطببا
واسرع إلى وداو فى مصر به | قلباً على نار البعاد مقلبا
لله ذاك السفح والوادى الذى | مازال روض الأنس فيه مخصبا
أنمى بمصر نسبة لكن أرى | وادى حماة ولطفه لى أنسبا
أرض رضعت بها ثدى شبيبتى | ومزجت لذاتى بكاسات الصبا
يا ساكنى مغنى حماة وحقكم | من بعدكم ما ذقت عيشاً طيباً

على هذا الضرب من الغزل الواله والشوق الباكى ، يتابع ابن حجة أبياته تلك ، وله أبيات أخرى كثيرة على غرارها .

ويبدو أن حماة كانت قمينة بهوى حبيبها وغرام نجيبها . فهى — فضلا عن أنها محل ميلاده ومجتمع أوطار فؤاده — قد شهد لها التاريخ بعراقة فى المجد وأصالة فى السؤدد وبسطت لها الأيام من البلهنية بساطاً ، ونشرت لهـا من النعيم بنداً . إذ كانت عاصمة إمارة صغيرة ، اعتلى عرشها أمراء من الأيوبيين ، منذ عهد صلاح الدين الأيوبى ، وهم الملك المظفر تقى الدين عمر ، ثم سلالته من بعده . وتحولت فى العصر المملوكى إلى نيابة من نيابات المملكة المصرية ، توالى على إمارتها أمراء من قبل سلطان مصر ، فكان منهم أبو الفداء اسماعيل المعروف بالملك المؤيد ، وهو من سلالة المظفر . أنابه الناصر بن قلاوون سلطان مصر ، عنـه فى حكم حمـاة ، وكرمه بأن خلع عليه ألقاب الملك ، دون سائر نواب السلطنة .

* * *

وتقع هذه المدينة فى شمال سوريا ، بين حمص والمعرة . ويجرى فى وسطها نهر العاصى . وكان بها كثير من النواعير ، تستنبط بها المياه من الآبار . وكثير من الطواحين المائية ، وكانت تجملها البساتين المتعددة . ونبت من ناشئتها عديد من الأدباء والفضلاء . وفى العصر الحديث تطامن بنيانها وتناقص عمرانها .

أما فى عصر ملكها المؤيد أبى الفداء اسماعيل ، فقد كانت مدينة زاهرة ، وعاصمة ناضرة . تضرب من حولها الوديان وتمتد القيمان ، وتكثف الغابات حيث يتخذ الوحش له مراحاً ، والطير الجارح مسرحاً . ويحلو فى جنباتها الصيد والقنص ، ويصفو بين دوحاتها اللهو والسمر . وقد استطاع المؤيد أن يجعل منها جنة نعيم ، ومنتدى علم ، ومجتبى أدب . فقد كان عالماً وأديباً وجواداً سخياً . ولهـذا طاف به العلماء والأدباء يطرقون بابه ويرجون جنابه ويستمطرون سحابه . فأعاد ببذله وفضله عهد الامتياح والسماح ، وزمن الاجتداء والعطاء ، وأجرى فى أعواد الشعراء ، ذوباً من البشر والرجاء ، وصوباً من الينع والنماء .

وممن هوى إليه فى حماة : شاعر مصر الكبير جمال الدين بن نباتة ، بعـد أن نبا به المقام فى مصر ، ولم يجد بها إلا عيشاً يابسـاً ، ويوماً عابساً . فرحب به المؤيد ، وأوسع له فى بطانته مكاناً ، ومن عطفه بستاناً ، ومن صحبته إحساناً . فعاش فى كنفه مكرماً أثيراً . يروح ويغدو فى حماة ، بين سفوحها ورباها ، وينعم بطيب رياها . ويصحب المؤيد أحياناً فى رحلاته بين الغابات والوديان ، والأدواح والقيمان . وعاش ابن نباتة حتى شهد موت المؤيد ، فصحب ابنه الأفضل وأخلص له الود ووفى بالعهد .

وإذا تصفحت ديوان ابن نباتة ، بدا لك أثر حماة فى شعره واضحاً . فإقامته بها وطوافه برحابها ، واتصاله بملوكها ، كانت موحيات إليه ، وملهمات فى كثير من قصائده . فله نحو عشرين قصيدة فى مدح المؤيد ، ومثلها فى مدح الأفضل . وهى قصائد مشرقة حية ، جمع فيها من أفانين الشعر أعاجيب . فمن غرر المدح إلى الغزل المليح ومن الوصف الدقيق إلى الخيال الرقيق ، ومن الشوقيات الذاكرة إلى الخمريات الساكرة .

وترى فى حمويات ابن نباتة هـذه ، بشاشة سافرة ، ورواء ضاحكا مستبشراً . تضحت عليها طبيعة حمـاة ، فبدت حسناء والشعر مرآتها ، وغيداء وأبياته أبياتها . لا أقول إنهـا علمت بن نباتة الوصف فقد كان وصافاً . ولا دعته إلى العطف فقد كان عطافاً . وإنما فره بجمالها وصفه ، وزاد بين يديها عطفه.

فمن غزله فى صدر قصيدة مدح بها الأفضل قوله :

صدودك يا لمياء عنى ولا البعد | إذا لم يكن من واحد منهما بد
بروحى من لمياء عطف إذا زها | على الغصن قال الغصن ما أنا والقد
وعنق قد استحسنت دمى لأجلها | وفى العنق الحسناء يستحسن العقد
من العرب إلا أن بين جفونها | أحد شبا مما تجرده الهند
على مثلها يعصى العذول وإنما | يطاع على أمثالها الشوق والوجد
عزيز على العذال عنى صرفها | وللقلب فى دينار وجنتها وقد

أعذالنا مهلا فقد بان حمقكم … وقد زاد حتى ما لحمقكمو حد
وقلتم قبيح عندنا العشق بالفتى … ومن أنتم حتى يكون لكم عند
سمحت بروحى للحسان فما لكم … ومالى وماهذا التعسف والجهد

ومن خمرياته فى مطالع مؤيدية قوله :

عوض بكأسك ما أتلفت من نشب
فالكأس من فضة والراح من ذهب
واخطب إلى الشرب أم الدهر إن نسبت
أخت المسرة واللهو ابنة العنب

غراء حالية الأعطاف تخطر فى … ثوب من النور أو عقد من الحبب
عذراء تنجز ميعاد السرور فما … توى إليك بكف غير مختضب
مصونة تجعل الأستار ظاهرة … وجنة تتلقى العين باللهب
لو لم يكن من لقاها غير راحتنا … من حرفة التعبين العقل والأدب
فهات واشرب إلى أن لا يبين لنا … أنحن فى صعد نرقى أم صبب

وإذا كان أثر حماة فى شعر ابن نباتة واضحا ، فهو فى إحدى قصائده أشد وضوحا وأبين أثراً . وأعنى بها قصيدة « مصائد الشوارد » . وهى أرجوزة مزدوجة فى نحو مائة وسبعين بيتاً ، خرج ابن نباتة مع الملك الأفضل صاحب حماة فى رياضة الصيد والقنص فى وديانها . فألهمته رحلته تلك قصيدته المذكورة . بدأ فيها بوصف الرياض ووشيها ، ومافيها من نور باسم وزهر ضاحك وعشب يانع ، ونواعير حادية ومياه جارية . ثم وصف البروز إلى الصيد ، والتضييق على الوحش فى مساربه . والغلمة وما بأيديهم من البندق والأقواس اللدنة . ومواقع الأطيار ومراتعها . والأفق وقت المغيب ، وسهود الليل ، ويقظة الفتية تلمسا للفريسة . بينما يحلك الليل ويرزم الغيم ؛ وهو بين هذا وذاك يصف جياد الصيد وكلابه وبزاته وصقوره وما إلى ذلك .

والقصيدة فريدة فى بابها ، بارعة فى تصورها ، وقد نعود إلى عرضها فى مقال جديد . ونذكر هنا منها ابياتاً على سبيل المثال ، قال فى المطلع يصف الرياض والنواعير :

أثنى شذا الروض على فضل السحب
واشتملت بالوشى أرداف الكثب
ما بين نور مسفر اللثام … وزهر يضحك فى الأكمام
إن كانت الأرض لها ذخائر … فهى لعمرى هذه الأزاهر
قد بسطتها راحة النمائم … بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم … تعرف فيه نضرة النعيم
وحبذا وادى حماة الرحب … حيث زها العيش به والعشب
أرض السناء والهناء والمرح … والأمن واليمن ورايات الفرح
ذات النواعير سقاة الترب … وأمهات عصفه والأب
تملت نوح الحمام المهتف … أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قلب … لا سيما والماء فيها صب

ويستطيع طلاب الموازنات ، ومحبو المقارنات ، أن يجدوا مجالاً واسعاً للموازنة بين قصيدة ابن نباتة هذه ، وقصيدة أخرى لمعاصره صفى الدين الحلى . فقد كان صفى الدين أحد الأدباء الذين هو وا إلى حماة ، فى عهد ملكها المؤيد . فنال من جداه ، ونعم بهداياه ، ومدحه بقصائد غر ممتعة . وقد شهد صفى الدين وفاة المؤيد عام ٧٣٢ هـ ، ورثاه . ثم هنأ ابنه الأفضل بملكه الجديد ، ثم مدحه بقصائد أخرى نفيسة . من بينها موشحة نظمها عام ٧٤٠ هـ وصف فيها رماية البندق والصيد والقنص فى مرج من مروج حماة ، وفيها يهنى الأفضل بعيد الفطر . وفى مطالع هذه الموشحة يقول :

قم بى فقد ساعدنا صرف القدر … وجاء طيب عيشنا على قدر
فكم علا قدر امرىء وما قدر … فارشف بنا در الهنا إن تلق در
فالشهم من حاز السرور إن قدر
وقد صفا الزمان والأمان … وأسعد المكان والإمكان
وأنجد الإخوان والأعوان … وقد وفت بعهدها الأزمان
والدهر تاب من خطاه واعتذر

ومنها يصف الأطيار :

أما ترى الأطيار فى تشرين … مقبلة بادية الحنين
قريبها ناب عن الأنين … إذا رنت نحو المياه الجون
يأمرها الشوق وينهاها الحذر

هذه أبيات من قصيدة صفى الدين التى نود لو تناولها — أو يتناولها أحد الأدباء — فيوازن بينها وبين «مصائد الشوارد» لابن نباتة . فالشاعران متعاصران . والقصيدتان صيغتا فى مدح ملك واحد هو الأفضل صاحب حماة . والمناسبة التى قيلت فيها إحداها ، شبيهة بمناسبة الأخرى . فقد قيلتا فى وصف رمى البندق

والخروج للصيد في مصاحبة الأفضل . واستلهم كل من الشاعرين أوصافه من واد من وديان حماة — ولعله واحد لا وديان — هذه أمور ومشابه بين القصيدتين تحبب في الموازنة بينهما وتمين عليها. ولا أدرى بالضبط متى قيلت مصائد الشوارد ، وفي أية سنة ، وفي أية رحلة . فلعلها هي نفس السنة ونفس الرحلة التي كان فيها صفى الدين . نقول ذلك بمناسبة ما نشعر به من تشابه في الموضوع والتصوير والخيال بين القصيدتين . مما يدل على اتحاد منازعهما .

ومهما يكن من شيء فإن القصيدتين وما عداهما من شعر الشاعرين الكبيرين ، وشعر زميلها الذى قفى على آثارهما ، وأعنى به ابن حجة ، وشعر غيرهم من أدباء حماة ، قبس من وحيها ، وجذوة من إلهامها ، ووقدة من سناها . وقد مات صفى الدين عام ٧٥٠ هـ ، وابن نباتة عام ٧٦٨ هـ ، وابن حجة عام ٨٣٧ هـ ، ومات غيرهم من شعراء حماة وأدبائها ، وبقى شعرهم وأدبهم خالداً محدثاً بما كان لحماة في نفوسهم من أثر ، وما كان لوحيها من بعث ، ولإلهامها من رجع ، ولسناها من إشراق .

(الإسكندرية) **محمود رزق سليم**

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

---

١٢ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

الحـــــالة الاجتماعية

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

يعيش أهل النوبة عيشة بسيطة لا تركيب فيها ولا تعقيد ، فحياتهم أشبه ما تكون بحياة أهل الريف ، إلا أنها غير دسمة ، فليس فيهـا الطيور المختلفة والحيوانات السـمينة ، بل الطيور لا تكاد تجد بها غير العظام والريش ، والحيوانات عجاف ، لا يكاد يشارك العظم والجلد شيء من اللحم !

وأكثر الأهلين يشتغلون بالزراعة المحدودة المساحة طول العام ، والتي يبدأ موسم اتساعها غالباً في شهر مايو من كل عام ، إذ تنخفض مياه النيـل ، فتنكشف الأرض التي غمرتها مياه الخزن ، فيزرع الأهلون هذه الضفاف التي كانوا يملكونها قبل التعلية الأخيرة ، والتي أعطتهم الحكومة تعويضاً عنها ، ولا يكادون يتركون منها شبراً بغير زراعة .

وتجود زراعة الحبوب من القمح والذرة والشـعير وبعض الخضر والبقول ، إلا أنه تكثر زراعة نبات (الكشرنجيج) وهو نبات يشـبه الفاصوليا أو اللوبيا في شجيراته وثماره . ولهذا النبات قيمته الغذائية الكبيرة ، لأنهم يأكلون ثماره ، ويتخذون أوراقه وسيقانه غذاء أساسياً لدوابهم ومواشيهم ، والسعيد منهم من يدخر من هذا النبات كمية كبيرة تكفى مواشيه طوال مدة الشتاء ، حين تمحل الأرض وتجدب وتجف الأوراق ولا تكاد تجد في هذه المنطقة على ضفاف النيل خضرة ، إذ تغطى مياه الخزن جميع الأرض ، ويبدو النخيل غارقاً في النيـل كأنه يحتضر ويستغيث !

وقد قامت وزارة الأشغال بإنشاء مشروعات للري ، فأحيت بهذه المشروعات الآلية آلاف الأفدنة ووزعتها الحكومة على بعض النوبيين الذين رغبـوا في شرائها ممن ذهبت مياه الخزن بأراضيهم ، وهي تستغل الآن أحسن اسـتغلال ، وتكاد تقوم بتموين بلاد النـوبة في كثير من الأغذية الضرورية ، وبخاصة بلانة ، والملاق ، والدكة ، حيث تعطى هذه الأرض أجود المحاصيل . وتمتاز هـذه المشروعات بالري الدائم والزراعة طول العام دون ارتباط بارتفاع النيـل أو انخفاضه ، ولا بانكشاف الأرض أو انغمارها . وقد جذبت هـذه المناطق الزراعية شباب النوبة إلى حد ما لكثرة ما تتطلبه من الأيدى العاملة والجهود المتعاونة ، ولا يزال الكثيرون موزعين في القاهرة والإسكندرية وغير ذلك من مدن القطر ، ويرسلون إلى أهليهم بعض ما يكفيهم من المؤن والنفقة ، ولهذا يكثر النساء والأطفال والشيوخ في البلاد كثرة تفوق الحد وتسترعى النظر والاهتمام ، وتتجسم هذه الظاهرة بوضوح عندما يحل فصل الصيف فيسافر تلاميذ المدارس الابتدائية والقسم الثانوى في عنيبة إلى ذويهم وأولياء أمورهم في شتى مدن القطر ، فلا يكاد يقع نظرك حينئذ على شاب أو صبى !

وما أحوج النـوبة إلى أيدى أبنائها الذين هجروها ولا يزورونها إلا في النادر القليل ، ولا يكاد يمكث الواحد منهم

أكثر من بضع ليال ، أو بضعة أيام ، وربما تعود الباخرة التى جاءت به لتحمله مرة أخرى إلى الشلال ، حيث يتمتع فى مكان عمله بما لا يجده فى وطنه الأصلى من متع ولذاذات ...

أجل ، ما أحوج النوبة إلى أيدى شبابها وسواعدهم وبخاصة فى هذه الأيام التى تتجه فيها الحكومة المصرية إلى تنفيذ المشروعات النافعة التى تجعل من هذه المنطقة جنة وارفة الظلال دانية القطوف تمسح عن أهليها كل ما قاسوه من آلام جسام ، وأهوال عظام ، فى سبيل رفاهية مصر وسعادة أبنائها وزيادة ثروتها وكثرة خيراتها عن رضا وإيمان بحق الوطن فى التضحية والإيثار ! !

والسكون قليلون ، فأكثر الذين أخذوا التعويض من الحكومة أنفقوه على أنفسهم وملاذهم ، أو فى بناء بيوتهم التى أغرقت هى الأخرى لانخفاضها عن منسوب التعلية الأخيرة ، وكان الأجدر بالحكومة أن تعوضهم بدلاً من أرضهم التى انتزعت منهم أرضاً مستصلحة معدة للزرع والنتاج ...

وفى النوبيين أناس على درجة من الفطنة والذكاء والميل للأعمال الحرة ، وقد قام هؤلاء بتكوين شركات زراعية وجلبوا لها أحدث الآلات الزراعية على اختلاف أنواعها مما تقوم باستصلاح الأراضى البور وحرثها وريها وإعداد الغلات وغير ذلك .

***

وتكثر فى بلاد النوبة بعض الصناعات اليدوية الصغيرة كصناعة الأطباق والحصر والسرر من الخوص والقش والجريد ، ويتجلى فيها الذوق الفنى السليم ودقة الصنع ، ويقوم بهذه الصناعات فى الغالب النساء والفتيات فى بيوتهن ، وتعنى الحكومة الآن بدراسة هذه الناحية بواسطة بعض مبعوثيها لإدخال بعض الصناعات الصغيرة التى تناسب البيئة وتشجيعها لتنمو وتكبر عن طريق المصانع الصغيرة أولا فى البلدان المزدحمة بالسكان والتى تكثر فيها الأيدى العاملة ، ويشرف عليها موظفون مختصون مهمتهم أولا تعليم أكبر عدد ممكن من الأهلين بنين وبنات ، ولكن المشكلة القائمة الآن هى صعوبة المواصلات بين هذه البلاد بعضها وبعض ، وعسى أن تحل هذه المشكلة وتذلل هذه العقبة حتى تسود هذه المنطقة صبغة صناعية ويجرفها التيار الصناعى ، وبخاصة حينما تكفيها كهربة الخزان مؤونة الوقود ، وتتكشف للناس كنوزها الدفينة من ذهب وقصدير وحديد .

***

والبيت النوبى على درجة كبيرة من النظافة وحسن التنسيق تلمس النظام فى كل ناحية من نواحيه وركن من أرجائه ، سواء فى ذلك بيت الغنى والفقير ، والفرق بينهما فى بناء البيت نفسه ومواد البناء ، فبيت الغنى متسع رحب مبنى بالحجارة من الجبال المحيطة به متعدد الحجرات ، وبيت الفقير فى الغالب من الطين ، وسقفه من جذوع النخيل وسعفها ، ولكنه مع ذلك يشرح الصدر ويملأ القلب راحة وطمأنينة وهدوءاً ، ومن جذوع النخيل وسعفها يسقف الغنى بيته كذلك ، إلا أنه يطلى السقف بطلاء ملون ، ويزخرفه زخرفة فيها كثير من العناية والمبالغة ، بحيث يبدو كقطعة فنية جميلة من أجود أنواع الأخشاب ، عملت فيها اليد الصناع عملها ، حتى أصبحت تستهوى العقول وتجذب الأنظار وتعجب لهذا الذوق السليم فى كيفية البناء نفسه ، فالبيوت بوجه عام تتكون من طابق واحد ذى فناء واسع ، ومن النادر أن تجد بيتاً من طابقين ، وحول البيت بناء قصير بارز يشبه المصطبة فى ريفنا ويستعمل استعمالها ... وشكل البيوت من الخارج هرمى تقريباً ، وبالغرف فتحات صغيرة مستطيلة ومثلثة قرب السقف الغرض منها التهوية الدائمة ، وحجرة الجلوس واسعة مستطيلة قد يبلغ طولها فى بعض البيوت اثنى عشر متراً ، والأبواب والنوافذ تدهن بألوان زاهية جداً ، وقد يكون لبعض البيوت الكبيرة شرفات مسقوفة فى الغالب لاستقبال الأضياف والترويح عنهم ، ويزخرف المنزل من الخارج بأطباق الصينى الملونة تغرس فى البناء نفسه بشكل منظم جميل يراعى فيه التناسب كأنما وضع تصميمه مهندس معمارى بارع ، وقد يستغنى عن الأطباق الصينية بقوالب من الطوب توضع بشكل بارز بحيث تكون أشكالاً هندسية دقيقة ، فمن دوائر وأقواس إلى مستطيلات ومربعات ومثلثات وزوايا ، مما يزيد البيت روعة وجمالا ، وفى ناحية الشلال حيث تقل الزراعة ويقل النخيل يجملون سقوف بيوتهم على شكل القباب . ولا تكاد تجد لبيوتهم أفنية إلا فى النادر القليل ، وعلى العكس من ذلك المنطقة الجنوبية

إذ لا يكاد يخلو بيت من فناء رحب ...

وأثاث البيوت فى العادة هو (العنجريب) ، وهو سرير من الخشب والجريد توضع فوقه حشية إذا كان معداً للنوم ، أو السجاجيد العجمية الفاخرة إذا كان معداً لجلوس الأضياف ، ولا بد من وجود هذه السجاجيد فى كثير من البيوت ، سواء منها بيت الغنى والفقير .

وفى كل بيت الأطباق الصينية والملاعق والأكواب المختلفة بكثرة عجيبة ، وهى فى الغالب من الأنواع الغالية الثمن ، بحيث إذا أعدت المائدة لضيف ما ، لا يشعر أبداً أنه فى غير القاهرة ، بل وفى بيت يهتم بهذه الأدوات ويجعلها فى مقدمة ما يعنى به !

والنوبيون يبالغون فى إكرام الضيف ، وأول ما يقدمونه له (الفشار) وسط طبق من الخوص وحوله البلح الجاف ، فيأكل الضيف من هذا وذاك ، ثم يقدم له الشاى ، حتى إذا جاء الموعد قام إلى مائدة لا تختلف فى تنسيقها ونظامها وما حشد فيها من أنواع اللحوم والطيور والحلوى عن موائدنا الحافلة وولائمنا الفاخرة ، وكأنما هى هى !

***

وإذا كانت بيئة العربى دفعته إلى الكرم والإيثار والبذل عن طواعية ورضا ، فإن بيئة النوبى الجافة القاسية ، والجرداء الماحلة فى أكثر أيام العام دفعته إلى العطف الشامل والحب المتبادل لأفراد بيئته الذين يعتبرهم منه بلا خلاف يؤثرهم على نفسه ويخصهم بالنعمة دونه ... فإذا أقبل المساء خرج من كل بيت ما فيه ، واجتمع أهل النجع وتناولوا جميعاً عشاءهم فى هدوء واطمئنان ، ولا يضير المعدم والحالة هذه ألا يجد ما يخرجه أو يأتى به ، بحيث يصيب كل واحد ما يسد جوعته ، فلا يبقى من يشكو ألم الجوع أبداً...

وذوو المراكز السامية من النوبيين عند ما يذهبون إلى بلادهم يتركون فى القاهرة ألقابهم وأوسمتهم ، ويلقون إلى حين رداء المدنية الخلاب ، لأن هذا لا يجوز فى شرعة أهليهم وذوى قرباهم الذين لا ينادونهم مهما ارتفعت مكانتهم وسمت منزلتهم بأكثر من أسمائهم المجردة فى بساطة وسذاجة بلا تعمل أو تكلف والجميع هناك أهل وأقارب وأولاد عمومة وأبناء خئولة ، لا فرق بين الكبير منهم والصغير والعظيم والحقير ...

وللنوبيين جميعاً ولع بشرب الشاى المركز ، فهم لا يشربونه إلا بعد أن تلقى فى الماء كمية كبيرة ويغلى مرات ومرات بحيث يكون فى النهاية أسود اللون مر المذاق ، ولهذا فإن للسكر هناك سوقاً سوداء ، بحيث تباع الأقة منه بخمسة وعشرين قرشاً أو ثلاثين أحياناً ، وهم معذورون لأن الشاى يقوم عندهم مقام الفاكهة التى لا توجد هناك إلا نادراً ...

وبعد ، فهذه صورة عاجلة عن الحياة الاجتماعية العامة فى مجموعها ، وهناك نواح كثيرة فى حاجة إلى الإفاضة والبحث ، ولكن ليس هذا موضعها لحاجة كل ناحية إلى الإفراد بالحديث وعسى أن نوفق إلى هذا إن شاء الله .

عبد الحفيظ أبو السعود

الموشحات وموسيقانا الحديثة

للأستاذ حسني كنعان

ظن بعض الناس ، وإن بعض الظن إثم ، أني بما كتبته عن المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق وعن النهضة في الموشحات ولزوم إحياء موات موسيقانا القديمة أنني انبعثت أدعو الناس إلى تعلم هذا النوع من الفن البالي على زعمهم ، والعزوف عن الحديث ولزوم مقاطعته ، ولذا أخذوا ينعتونني بالرجعي الجامد . ودفعاً للالتباس أريد في كلمتي هذه أن أضع النقط على الخطوط التي تمتلج في ضميري لإحياء قديم هذا الفن والنهوض به فأقول :

ليست الموشحات وحدها هي التي تبعث الموسيقى من رقادها وجودها ، ولا الأدوار والقصائد الموقعة على الأوزان مثل التي كان ينشدها الشيخ أبو العلاء محمد أستاذ الآنسة أم كلثوم ، ولا المنلوجات الحديثة والأغاني الدارجة التي تسمى « طقاطيق » ولا المواويل والأغاني الشعبية الطاغية في هذا العصر ، وإنما الذي ينهض بالفن الجمع بين هذه العناصر جميعها ، لحفلة تقوم على نوع واحد ولون خاص من هذه الألوان والأنواع الفنية يكون مآلها الإخفاق والضجر والملل . ولا بد من التنويع ، وعدم الاكتفاء بنوع واحد ، فالآذان والأرواح تتغذى بالفن كما تتغذى الأبدان ، والاقتصار على نوع واحد من أنواع الطعام يفسد المعدة ويدفعها إلى الملل والعزوف عن الأكل . ولقد كان الأقدمون يجعلون الموشحات في القدمة من حفلات السمر والتلهي ، ويليها الدور والقصيدة ، والأغنية « الطقطوقة » والموال ، وبهذا الترتيب والتنويع كانت تحمل النشوة والطرب وتدوم الحفلات لديهم من مغيب الشمس حتى مطلعها دون أن يعترى السامعين الساهرين المغتبطين شيء من الإملال بعكس ما هي عليه حالنا اليوم . نكتفي بعرض قطعاتنا التجارية الرخيصة المبتذلة المخنثة نقلد فيها أبطال مطربي الأفلام السينمائية ، فتارة نتغزل بالبنزين : يا أوتمبيل يا جميل ما احلاك ، وتارة بالقطار : يا وبور قل لي رايح على فين ... وتارة وتارة ... فلا ينتهي المزيج الأول من الليل على السمار حتى يأخذهم من الملل وضيق النفس التثاؤب، ويرنق النوم على أجفانهم فيتركون الحفلات دون أن يتمموا المدة المخصصة لختامها .

وهذا ما دعانا إلى امتداح الموسيقى القديمة وطرق عرضها ولزوم إحياء مواتها لنعيد بها ليالي السلف ، فنتذوق طعم هذا الفن كما كانوا يتذوقون ، ونطرب له كما كانوا يطربون ، فأين ليالي اليوم من ليالي أمس في عهد الحمولي ، والمنيلاوي ، وسلامه حجازي ، والبولاق ، والسفطي ، وغيرهم من كبار فنانينا الأقدمين ؟ وأين الأنس والطرب فيها من لياليئا القائمة ؟ فهذه تنتهي بأسرع وقت ، وتلك كانت تدوم حتى مطلع الفجر فلا يعرف الساهرون اللاهون كيف كانت تمر لياليهم من شدة لهوهم وهيامهم . ولقد كانت تستغرق آه واحدة من آهات الحمولي كما روى لنا المعاصرون له ساعة كاملة على التحقيق وهو يكررها باختلاف الأنغام ، وكل نغمة منها كانت تحدث في السامعين من الشجو أضعاف ما تحدثه سابقتها ، ولذا خلده أمير الشعراء ساكن الجنان بقوله فيه :

يتمنى منه أخو الشجو آها حين بالحي تكون من أعذاره
يسمع الليل منه في الفجر ياليل فيصغي مستمهلا في قراره

هكذا كانت ليالي الأقدمين ، وهكذا كان سحر فنهم . أما ليالي اليوم فإنك لا تكاد تجلس لتسمع فيها إلى صوت مغنية أو مغن ، حتى تخالك في مأتم تصغي فيه إلى أصوات النادبين والنادبات والنائحين والنائحات لفسولة غناء هذا العصر وبعده عن مواطن الطرب ...

فجل الغناء المصري إن لم نقل كله من النوع الحزين الباكي الذي يقتل الشعور المشبوب والعواطف الفياضة . فإذا كنا نحن دعونا الناس فيما كتبناه إلى إحياء موات القديم فذلك لاعتقادنا أن الموشحات القديمة والأدوار تمد قواعد أساسية للفن الموسيقي كالنحو والصرف للتمكن من اللغة العربية ، فإذا قدر لمثل صاحب قطعة « بلاش تبوسني بعيني » ولمثل صاحبة قطعة « نامي يا ملاكي » الخلود فلن يخلد إلا بالقطعات التي جاريا فيها الأقدمين ، كقطعة « يا جارة الوادي » البياتية النغمة ، وتلفتت

ظبية الوادى ، من نغمة الحجاز ، وقطعة وحقك أنت المنى والطلب من نغمة السيكا ، وقطعة سلوا قلبى ، من نغمة الرصد . فهذه قطعات ذات نغمات شرقية جارى بها أصحابها الأقدمين وساروا باللحن على غرارهم ؛ فنها وبأمثالها لا بغيرها تخلد أسماؤهم وهذا ما حفز الآنسة أم كلثوم على الإيعاز لملحنيها أن يكثروا من تلحينهم لها القطعات ذات الأنغام العربية المعروفة المألوفة ، فجددت بهذا شباب فنها الهرم ذى اللونة الإفرنجية الدخيلة .

أما الموشحات التى مرَّ معنا ذكرها فى البحث السالف فليست كلها أندلسية ، ومعظم المتداول منها الذى يُنشد فى الحفلات ويُذاع على الناس من الموشحات التركية المستعربة ، ودليلى على ذلك أنه لا يخلو موشح فيها من قولهم فى تقاطيعه وطياته من كلمتى « جانم وأمان ، يللى ويللالى » ولا جرم أن الموشحات الأندلسية لها قيمتها وروعة معانيها وأنغامها بالنسبة إلى التركية المتداولة المعروفة : وإليك نوعا من هذه الموشحات من النغمة الجهاركاه يُنبئك عن روعة هذا الفن القديم الأندلسى ...

كللى ياسحب تيجان الربا بالحلى واجعلى سوارك منعطف الجدول
ياسما ، فيك وفى الأرض نجوم وما كلما ، أغربت نجماً أشرقت أنجما
وهى ما ، تهطل إلا بالطلا والدما فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى
من ظلم ، فى دولة الحسن إذا ما حكم فالسدم ، يجول فى باطنه والندم
لا أريم ، عن شرب صهباء وعن عشق ريم
فالنعيم ، عيشٍ جديد ومدام قديم
أسفرت ليلتنا بالأنس منذ أقمرت بشرت بلقا المحبوب واستبشرت
طوِّلى ، يا ليلة الوصل ولا تنجلى واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

فأين روعة هذا الموشح الأندلسى المقتضب بتصرف من موشحاتنا اليوم . ولو استعرضنا جميع ما تقع عليه العين من الموشحات القديمة لألفيناها من هذا النوع الساحر الأخاذ ، وهذا ما حدا بنا إلى الدعوة لإحياء مواتها والعناية بها . فإذا كان الحولى قد كتب له الخلود فلم يكتب له عن طريق الفنّ وحده ، وإنما كتب له عن طريق التجويد فى ابتكار أروع القطعات الأخاذة المعانى ، وإليك نموذجاً من أدواره فى نغمة الحجاز كار :

الله يصون دولة حسنك على الدوام ، من غير زوال
ويصون فؤادى من جفنك ماضى الحسام ، من غير قتال
أشكى لمين غيرك حبك أنا العليل ، وأنت الطبيب
إسمح وداوينى بقربك واصنع جميل ، إياك أطيب

وأنا أعرف مغنياً من هذه الطبقة سمعته فى حداثتى يدعى محمد سالم ، وكان يزيد عمره على المائة سنة ، سمعته فى حفلة سمر خاصة ، وأذكر أن أحد الحاضرين قد استخفه الطرب فقذف بنفسه فى نهر يزيد فى الربوة بملابسه من شدة ما عراه من الطرب والشجن ، وما فتئت إلى الآن أتخيله كالأخطبوط يغوص فى النهر يضرب وجهه من غير شعور كأنى أشاهده الآن .

أما البعض من مطربي هذا العصر فإنك لهم أن تلقيهم فى النهر وتبيدهم تخلصاً منهم ، أو أن تلقى بنفسك منتحراً إذا كان ليس بمقدورك أن تلقيهم وتبيدهم فراراً مما تسمعه وتراه ...

(دمشق) حسنى كنعان

لقد طـــــار لأول مرة..

للكاتب الايرلندى لام أخلا هيرتى

للأستاذ محمد سعد الدين وهبة

وقف العصفور الصغير وحيداً أمام عشه ... لقد تعلم أخواه وأختـه الطيران فى اليوم السابق ، ولـكنه لم يجرؤ على الطير معهم ... وحينما كان يجرى على فرع الشجرة الممتد أمام العش وحينما يبلغ نهايته ويوشك أن يرفع جناحيه يحس بالخوف فيجمد فى مكانه ... كان البحر منبسطاً هناك فى أسفل ... عدة أميال بينه وبين سطح البحر ... كان يشعر بشعور مؤكد أن جناحاه لن يستطيعا حمله فكان ينكس رأسه فى ذلة ثم يعود إلى عشه الصغير ... وكان إخوته يحومون حـوله يحثونه على الطيران ... فكان أبوه وأمه يدوران حوله يؤنبانه على خوفه وجبنه ، ويهددانه بحرمانه من الطعام وتركه فى العش يموت جوعاً إذا لم يطرح عنه الخـوف ويبدأ فى الطير ... ولـكنه كان يريد الاحتفاظ بحياته فلم يغادر العش ... ومر أربع وعشرون ساعة ولم يقترب منه أحد.

وفى اليوم التالى أخذ يرقب أباه وأمه يطيران مع إخوته يصححان لهم أوضاعهم ، ويعلمانهم كيف ينقضون على البحر إذا شاهدوا سمكة طافيةً ... وكيف يتناولونها بمنقارهم ثم يرتفعون فى سرعة . ورأى أخاه الأكبر يصطاد سمكة ثم يأخذها إلى حجر نائىء بعيد حيث جلس يلتهمها وحوله باقى أسرته يصيحون فى فرح وزهو . ثم طار الجميع إلى الصخرة البعيدة بعد أن مروا به يسخرون منه ويعيرونه بجبنه وخوفه ...

وأخـذت الشمس ترتفع فى السماء وترسل أشعتها المتألقة وحرارتها الوهاجة ... فأحس بالدفء ... إنه لم يذق طعاماً منذ المساء السابق ... أخـذ يتمدد ثم فكر فى طريقة يصل بها إلى أسرته طريقة تستوجب الطيران ... ولـكن لم يكن هناك سوى البحر الوسيع يمتد من تحته ... وأراد أن يلفت نظارهم إليـه فوقف على رجل واحـدة ووضع الثانية تحت جناحه ... ثم أغمض عينيه وتظاهر بالنوم ... وفتح عينه فشـاهد إخوته يتمرغون على الصخرة فرحـين ... أما أبوه فكان ينكش ريشه بمنقاره ... وأمه ... كانت هى التى تنظر إليه ... ومن لحظة تنهش قطعة من السـمك ملقاة تحت رجليها ... وأثاره مرأى الطعام حتى كاد أن يجن ... كم يحب أن يذوق السمك ... ولم يلبث أن صاح صيحة ضعيفة يستعطف أمه أن تحضر له بعض الطعام . ولـكنها أجابته بالرفض ... ثم انطلقت من حنجرته صيحة فرح . لقد شاهد أمه تقبض على قطعة السمك بمنقارها ثم تطير متجهة إليه ... وجرى إلى نهاية الفرع فى شغف وأخذ يدق الفرع فى سرور ... وحينما قربت أمه منه توقفت عن الطيران ثم حلقت فى الفضاء وقطعة السمك فى منقارها ... وانتظر أن تقترب منه ... ولـكنها لم تفعل ... وعضه الجوع ... وفجأة قفز إلى قطعة السمك ولـكنه ... أخـذ يسير إلى الهاوية وحينما مر بأمه سمع صوت اصطفاق جناحيها ... ثم لم يعد يسمع شيئاً ... بقيت لحظة ... لحظة واحدة بعدها سوف يسقط فى البحر ... ففرد جناحيه ... وأحس بالهـواء يدفعه فحرك جناحيه ... إنه لا يسقط الآن ... ولـكنه يرتفع ... وغادره الخوف ... لم يعد يهـاب شيئاً ... إنه يطير ... إنه يطير ... وأطلق صيحة فرح ... ورأته أمه يطير فأخـذت تصيح فرحاً ... ثم رأى أسرته وقد التف أفرادها به ونسى أنه لم يكن يعرف الطيران فأخذ يحلق فى السماء ... يطير مرتفعاً ثم ينخفض ... يطير مشرقاً ومغرباً ... والسرور يملأ نفسه ... ولـكن ... لقد صار فوق البحر ... والمسطح الأخضر تحته تماماً ... ورأى أبوه وأمه وأخوته وقد حطوا فوق البحر ... وأخذوا ينادونه فى سرور ... أخذ ينخفض حتى بلغ سطح البحر فأسقط رجله على المسطح الأخضر ولـكنها غاصت فيه ... وصاح من الخوف وأراد أن يرتفع ثانية ... فأخذ يضرب بجناحيه ... ولـكنه كان تعباً ... ضعيفاً من الجوع ... لم يستطيع الارتفاع فترك أرجله تغوص ... ثم شعر بالماء يلمس جسده فارتمـد ... ولـكنه لم يغص أكثر من ذلك ... لقد طفا جسده فوق الماء . والتف حوله أفراد أسرته يصيحون فرحين ثم تقدموا منه وبمنقار كل قطعة من السمك ... فرموها إليه ثم أخذوا يعودون فرحين. فقد طار صغيرهم لأول مرة ... ؟

محمد سعد الدين وهبه

الدوحـــــة الذاوية

للأستاذ محمـــــد محمد على

كانت تنشر ظلالها على ذلك الغدير الرقراق الذى تلتقى عنده مدارج السيول وتنعكس على صفحته ألوان السحب التى تظلل سماء القرية وكان الخريف يبتسم لها فتورق وتزدهر غير أنه فى هذه المرة تنكر لها فغادرها شبحاً لا رواء فيه ولا ماء .

زينـة الحى جردتك الأعاصـــير فواها للمـــة الخضراء
كنت كالغادة المدلة تستجـ ـلى رؤى من جمالها فى الماء
كنت طيفاً من الجمال وضيئاً لابتســـام الخميلة الفيحاء
كنت فناً إزاءه كل فن مستخف كالقطر فى الدأماء
رب حسناء تحت ظلك أزكت وقد حسى بالمقـــلة الحوراء
وابتسـام وميضه فى حيـاتى كافترار البروق فى الظلماء
رب شرب أقام حولك عرساً بابليـاً فى ليـلة حمراء
يا عـكاظ الطيور أين نشـيد عبـقرى للقينـة الورقاء
أين تلك الوكون تطفح بشراً أين ظـل يرف فوق المـاء
واضطراب النسيم يخرج قسراً من فروع نضـيرة ميسـاء
وائتلاق الشعاع فوق اخضرار سـندسى فى الليـلة القمراء
ذاك عهـد طوته منك الليالى فى سمـوم وزعزع نـكباء
أنت مثلى وكل من بات مثلى غارقٌ فى غيـــابة الأرزاء
عقنى الدهر فى رجائى وأهـلى وابتهـاجى بخيرة الخلصـاء
الظـلام الظـلام يفعم نفسى ويح نفسى من وحشة الظلماء
والصباح المـأمول مات بأفق فى غيوم النحوس والبأسـاء

* * *

جاءك الغيث والبروق اشرأبت من فروج السحائب الدكناء
أغمضت أعين النجود فردت سهم لحظ يشـير فى استهزاء
غرها الخلد والشـباب نضير وانطـلاق فى القبـة الزرقاء
واضطراب فى الأرض يصرع جيـلا
إثر جيـل من سائر الأحيـاء
نحن من عنصر التراب ولـكن فى سمو الوضـــيئة الزهراء
ليس للأنجم الوضيئة خـلد بل رحاب الخلود للشـعراء
آه لو كان للأسير جناح مسـتمر يهتز فى الأجـواء
كان يستبطن السماء ويدنى فلسـفات الغيوب للغـبراء
كان يحبو مع الشموس بعيداً عن نطاق الصباح والإمساء
كان يبنى اقومه شرفات شـامخات فى هامة الجوزاء
نحن أحرى من النجوم بحشد يرسل النور من جبين السماء

* * *

جاءك الغيث فارشفيه كئوساً تطلق الغصن من وثاق الفناء
حسرتا للغصون أوسعها الدهـ ـر جموداً كالصخرة الصماء
زينة الحى كل شىء بهيج كل شىء يختال فى السراء
غير شخصين ضارعين أقاما فى رحاب الوجود رهن شقاء
ها هو الدوح مورقاً فينانا ها هو التل معشب الأرجاء
ها هو الطير ناشطاً يتغنى فى اصطخاب مجلجل الأصداء
صرت قبراً على الطريق ولـكن حرمتك الشفاه همس الدعاء
أنت منا لو يعلمون وإن لم تشركينا فى سحنة ودماء
رب صخر تهفو القلوب إليه وابن أم كالحية الرقطـاء
سجد الناس للصخور قديماً وتهادوا بالغـارة الشعواء
لست أنسـاك ما تألق برق فى حواشى سحابة وطفـاء
تحدر السيل فى المدارج كالخيـ ـل خفـافاً تستن للهيجاء
يفعم النفس رهبـة ويدوى كدوى العواصف الهوجاء
يخرج الحي من شقوق الروابى هارباً من تزاحم الضوضاء
يركب النجد مائجاً يتنزى ثم يفنى فى مهجة البطحاء

محمد محمد على

شـــاعرة مصرية

مهداة إلى « الأستاذ العباس » بمناسبة قوله فى « عدد الرسالة ٧٨٤ » : هل عندنا شاعرات .

شمس الدين السخاوى المؤرخ النقاد للقرن التاسع الهجرى أفرد جزءاً خاصاً من تاريخه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (*)) لتراجم النساء فى الشرق ، ومنه أنقل بإيجاز ترجمة الشاعرة المصرية فاطمة ابنة القاضى كمال الدين محمود بن شيرين : ولدت بالقاهرة سنة ٨٥٥ ، ونشأت فتعلمت الكتابة وما تيسر ، وتزوجت الناصرى محمد بن الطنبغا ، واستولدها ابنتها فاطمة وغيرها ، ثم مات عنها ، فتزوجها العلاء على بن محمد بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر برقوق ، فاستولدها بيبرس ، ولاحظ لها فى ذلك مع براعتها فى النظم وحسن فهمها وقوة جنانها حتى كانت فريدة فيما اشتملت عليه . وقد حجت سنة ٨٨٤ سنة حج الملك ، ثم سنة ٨٨٦ ، ثم سنة ٨٩٤ وجاورت فى هذه بجوارنا ، ثم فى سنة ٨٩٨ مع ابنها وجاورا فى التى تليها .

ومما كتبت به إلى من نظمها بعد مجىء الخبر بموت أخوى :

قفا واسمعا منى حديث أحبتى ... فأوصاف معناهم عن الحسن جلت
تجمعت الخيرات فيهم وقد حبوا ... من الله مولاهم بأعظم منة
وأما التى أدعو لها الله داعياً ... فآمنة فيكم لآخر مدة
وإن كرهت من حادث الدهر فرقة ... فجنة عدن بالمكاره حفت
أثابكم ربى وأعظم أجركم ... على فقد أحباب وأحسن جيرة
كرام سموا علماً وحلماً وسوددا ... وكنتم بهم فى غبطة ومسرة
قطعتم لذيذ العيش وصلا بقربكم ... فوا أسفا عند الفراق وحسرة
نعم هكذا أيدى المنية لم تزل ... تفرق إخواناً على حين غفلة
فكرر لذكراهم على السمع ربما ... به سيدى عن رؤية العين أغنت
فهم فى سويداء الفؤاد وإن نأوا ... ومنزلهم منى مكان سريرتى
لهم برسول الله إذ ذاك أسوة ... أثابهم الله الجزاء بجنة
وإن أفلت تلك البدور التى زهت ... فها شمس دين الله خير ذخيرة

(*) طبع فى القاهرة عام ١٣٥٦

هو العالم الحبر الإمام الذى له ... بفضل علوم شهرة أى شهرة
فليس له فى حضرة غير مدحة ... وليس له فى خلوة غير جلوة
فأنتم خيار الناس حقاً بلا امترا ... فديتكم من كل سوء بمهجتى
حماكم إله العرش من كل حادث ... لتنفع بالآداب كل الخليقة
بحق نبى جاء للخلق رحمة ... محمد المبعوث من أرض مكة
عليه صلاة الله ما هبت الصبا ... وتحمل أشواقى إلى نحو طيبة

وكتبت إلى بغير ذلك ، ومنه وقد بلغها عن بعضهم كلام :

يا سيداً ما له مثيل ... من فى المهمات أرتجيه
ماذا ترى فى امرئ خبيث ... يحسد ذا سودد عليه
فاسمع كلام امرئ لبيب ... لجاهل رام يزدريه
ما ضر بحر الفرات يوماً ... لو خاض بعض الكلاب فيه

ومنه حين طالعت كتابى « ارتياح الأكباد » لتتسلى عن بنت أثكلتها ، سائلة عن شئ من الأبيات التى أوردتها فيه فقالت :

يا إماماً قد حاز علماً وفهماً ... وله فى الورى محاسن جلت
ما رأى الشاعر اللبيب بقول ... جرح القلب والدموع استهلت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها ... فالرزايا إذا توالت تولت
لم أطق سيدى بلوغ مداها ... ضعفت قدرتى لذاك وكلت
أخبرونى عن نطقه ببيان ... نلت أجراً ورتبة قد تعلت

ثم كتبت إلى سائلة أيضاً :

يا أيها الحبر وبحر الندى ... يا حافظاً نقل حديث قديم
يا منحة فى دهره لم يزل ... ممتدحاً من كل « فاء وميم »
يا غاية الآمال يا منيتى ... يا من به أضحى غرامى غريم
يا شمس دين الله يا من غدا ... بكل علم فى البرايا عليم
ويا سخاوى يا إمام الورى ... من خصه الله بعلم جسيم
أسألك يا شيخ شيوخ النهى ... ومن نوى فى فيه در نظيم
فيمن أتاها عائق عاقها ... عن أمل صارت به فى جحيم
قيامها إذ ذاك يا سيدى ... بين مقام زمزم والحطيم
فى ليلة أخبرنا أنها ... يفرق فيها كل أمر حكيم
يا من فتاواه إذا أبرزت ... يكاد ذو فهم بها أن يهيم
يهنك شعبان الذى قدره ... ما زال عند الله قدر عظيم
بجاه من أسرى به فى الدجى ... وهو المولى كليم نديم
صلى عليه الله طول المدى ... ما ناح قمرى بصوت رخيم

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدكتور طه حسين أيضاً :

يوم أشرت إلى ما نمت عليه مقالات الدكتور طه حسين بك ، من شعور بعدم الارتياح إلى حاله فى مصر وتعزيه عن هذا بمكانه فى فرنسا — لم ألتفت إلى ناحية ينبعث منها هـذا الشعور ، إذ قصرت الأمر على ما عساه أن يـكون بينه وبين الدولة من أشياء لا ترضيه ؛ وهذه الناحية وقفت عليها من كتاب « رحلة الربيع » الذى أخرجته له أخيراً « سلسلة اقرأ » والذى تحدث فيه بخـواطر خطرت له فى أثناء سفره إلى فرنسا وإقامته فيها وعودته منها إلى مصر فى الربيع الماضى .

يقول فى موضع من أوائل الـكتاب « وكنت قد تركت فى مصر شراً ونكراً وإثماً ، وخرجت وفى نفسي شىء من شرهـا ونكرها وإثمها » ويقول فى موضع آخر : « إنى لظالم للحق ولنفسى حين أحفل بهـذه الضفادع البائسة التى تملأ جو مصر نقيقاً . وما الذى يعنمنى حين تثقل على عشرة الضفادع أن أنسل من بينها كما تنسـل الشعرة من العجين لأخلو إلى رائع القديم وأخلو إلى رائع الحديث ، وأتعزى بجمال الأدب والفن والموسيقى عن قبح السياسة والمنافع وغدر الغادرين ومكر الماكرين وخيانة الخائنين ! »

ويقول بعد أن يعبر عن اغتباطه بزيارة الأطـلال اليونانية فى « الأكروبوليس » فى أثناء رسو السفينة فى أحد ثغور اليونان ، وبعد أن يعبر عن نشوته بسماع موسيقى يتهوقن عنـد عودته إلى السفينة فى المساء ، يقول مخاطباً نفسه : « وقد أنكرتك مصر أو أنكرت مصر ، فخرجت منها ذات يوم مع الصبح ، ولم تكد تنأى عنها حتى غمرك جمال القديم اليونانى فى الضحى ، وجمال موسيقى يتهوقن فى المساء ، فنسيت مصر وأهلهـا ، ونسيت مكر الماكرين ، ولهوت عن غدر الصديق وعن جحود الجاحدين »

إذن فالذى استشعره الدكتور طه من الشر والنكر والإثم فى مصر ، مبعثه غدر الأصدقاء ونفاق المنافقين ؛ وليس هـذا غريباً ، بل هو أمر طبيعى لم يكن من الممكن — فى طبيعة الأحوال عندنا — غيره ... فقد كان الرجل فى منصب كبير من مناصب الدولة ، وكان له سلطان ، وفيه أريحية ، فنثر حوله حباً تساقط عليه طير كثير ، ولصق به كثيرون من محترفى الصداقة . فقدم ورفع وأعطى ومنح . وهؤلاء « الأصدقاء » الاصقاء يعرفون كيف يلبسون لـكل حال لبوسها ، كما يصفهم الدكتور ، وقد بلغ الغاية فى هـذا الوصف ، ومن ذلك مخاطبته لأى منهم : « وأى شىء أيسر من أن تصفو لى اليوم وتكدر لى غداً ، ثم تعود إلى مثل ما كنت فيه من الصفو ، ثم ترتد إلى مثل ما كنت فيه من الـكدر ، وتجعل نفسـك على هذا النحو كرة تقذفها من الصلة إلى القطيعة ومن القطيعة إلى الصلة »

وقد تغير هؤلاء المراءون على الدكتور ، لأنه أصبح لا يملك ما كان يملك لهم من المنافع ، فتحولوا عنه إلى غيره يلتمسونها عنده.

ولا شك أن من فوائد هذه المحنة النفسية « الطبيعية » هذا التحليل الرائع لتلون المتلونين ورياء المنافقين ، وتهوين أمرهم ، والسخرية منهم وما إلى ذلك مما تضمنته فصول الـكتاب ؛ ومن المحقق أن هـذه المحنة صبغت — وستصبغ — أدب طه حسين بلون جديد .

ويتعزى الدكتور طه عما ترك فى مصر من الشر والنـكر والإثم بما يلقى فى فرنسا من كثير يعبر عنه تعبيراً يشيع فيـه

وكتبت إلى بلغز فى إسمى ونسبي فى ٢٥ بيتاً أوله :

ألا يا إمام الناس يا أوحد الورى ... ويا من حوى كل العلوم ولم يزل

ثم بلغز آخر فى اسم « محمد » أوله :

يا مفرداً علومه مجمـله ... وعالماً مولاه قد جمله

وقالت بديهاً فى الزين سالم :

أيا سـيداً عم الخلائق بره ... وإحسانه فرض تضاعف لازم

أعن سائلا يأتيك والدمع سائل ... ولا تخشى من سوء فإنك « سالم »

ذلك ، وفى « نزهة الجلساء فى أشعار النساء للسيوطى » : عائشـة الاسكندرانية المعروفة بزهرة الأدب ، دار محلها يعرف بالروض ، ولها شعر ...

أسامة

الارتياح والاغتباط . وقد عاد إلى فرنسا بعد هذه الرحلة ، رحلة الربيع ، ولا يزال بها إلى الآن ، يعالج جرح نفسه بما يحب هناك ، وما ينسيه ما لقى فى مصر ... ومن حق الدكتور طه حسين على فرنسا أن تيسر له كل ذلك ، فقد أحبها وتغنى بها ، وها هى ذى تستأثر بقلبه ، دون مصر وما فيها من شؤون وشجون ... ومن حق مصر على فرنسا أيضاً أن تشفى لها نفس الدكتور طه وتأسو جراحه ، فقد أنبتته مصر وأنجبته ولم تبخل به على فرنسا ... وهى — أى مصر المسكينة — حائرة بين إسراف « الفتى » فى التدلل وبين غدر الغادرين به ، وترجو أن يمو إليها سالما معافى موفوراً .

أدب الهروب :

قرأت فى العدد الأخير من مجلة « الأديب » اللبنانية ، كلمة للأستاذ حسن حمام من اللاذقية ، حمل فيها على الأدباء « الذين غرقوا بين أمواج الحب المصطنع وبين زبد أمواج الرمزية الغامضة وبعدوا عن ساحل الحياة المضطرب الجياش الثائر » وناشد أدباء العرب أن يرفعوا من القومية العربية ويعلوا شأنها ، ودعا إلى أن يشمر الأديب بما يضطرب فى بيئته ويستوحى أدبه من الحياة وقلبها النابض .

وقد استرعى انتباهى قوله : « إن أدبنا الحاضر أيها الأدباء بحبه وغزله ، بشكواه وأنينه ، ببكاه ونواحه ، بضعفه وتخاذله ، لا يمثل بيئتنا ولا يصور حياتنا الاجتماعية والسياسية والقومية . وسيقف أحفادنا فى المستقبل من هذا الأدب مقلبين أكفهم متسائلين عن معنى هذا الأدب يحاولون أن يستنبطوا حياتنا الاجتماعية منه فلا يفهمونها » استرعت هذه الفقرات انتباهى ، فجعلت أنصور أدبنا الحاضر وأجول بفكرى فى نواحيه المختلفة ، وأسأل نفسى لأحقق قول الكاتب الفاضل : هل يصور هذا الأدب حياتنا بحيث يستدل به عليها الآتون من بعدنا أو بحيث يصدق عليه ما هو مقرر معروف من أن الأدب مرآة المجتمع وصورة الحياة ؟

إن أكثر الكتاب والشعراء مشغولون بالدراسات والبحوث والتعبير عن المشاعر المترفة ، أو بالسياسة الحزبية ، أو بالتوافه المسلية ؛ فأين الحياة التى يحياها الناس من كل هذا ؟

والدراسات الأدبية مطلوبة ولابد منها للبناء عليها ، ولكن لا يجوز أن يعكف عليها كلنا ، أو أن نستهلك فيها كل جهدنا ، ولا نضيف إلى أدب الذين ندرس أدبهم أدبا يدل على أننا كنا هنا ...

لقد قال الكاتب فى مستهل كلمته إنه تناول عدداً من مجلة الأديب فلم يجد به تعبيراً عن مثل ما يجيش بنفسه من المشاعر القومية العربية . والعدد الذى نشرت به الكلمة زاخر بالفصول الأدبية الدراسية والأبحاث الفلسفية المالية ، ولكنه يكاد يخلو مما يدعو إليه . وليست الزميلة كذلك وحدها فهذا طابع عام للانتاج الأدبى فى جميع البلاد العربية فى هذا الوقت الذى يتوثب فيه الوعى العربى الجديد وينظر شزرا إلى الأدب الذى انبت عنه .

وقد سمى السيد حمام هذا الإنتاج الذى يهرب أصحابه من الحياة « أدب الهروب » وقد أعجبتنى هذه التسمية فأثبتها على رأس هذه الكلمة .

أهذا مزاد النيل ؟ :

أرادت إدارة الإذاعة أن تشارك فى الاحتفاء بوفاء النيل ، فأذاعت شيئاً مما تسميه « برامج خاصة » اسمه « النيل » من تأليف حضرة مراقبها العام ، جمع فيه كل محفوظات الإذاعة مما يتعلق بالنيل من مثل « النيل نجاشى حليوة أسمر » و « يا بحر النيل يا غالى » ...

وقد بدأ البرنامج بمناجاة شعرية من الشاعر القديم « حابى » يلقيها بين يدى النيل ويتحدث فيها عن الآلهة القديمة ، وقد أقلق مؤلف البرنامج روح « حابى » وأرواح تلك الآلهة إذ أثارها من مستقرها فى كتاب الأستاذ حسن سليم بك ، حيث يليق بها أن تكون ، لأنه كتاب علمى ؛ وأكرهها على الظهور أمام جمهور مستمعى الإذاعة الذين لا يألفونها ...

ويدور الحوار فى البرنامج بين النيل ومصر على نسق كتب المطالعة للمدارس الابتدائية ، كالمناظرة بين الدراجة والحمار ... وكان الممثلون يلقون كما يطالع التلاميذ ، والتى مثلت مصر مثلت بها !

واستغرقت إذاعة ذلك البرنامج نحو ساعة قضيتها متجشما الإصغاء لأرى نهاية ما يصنع بالنيل ... فقد كان كلاما يتلو بعضه بعضاً على كره ، لا أثر فيه لأى عمل فنى . وظاهر أن المقصود منه أن يكون حبلا يجر مالدى الإذاعة من « الاسطوانات »

القديمة التي ورد فيها ذكر النيل ، وقد كان يمكن إذاعتها من غير هذا التكلف .

والنيل واهب مصر ، وكل من فيها وما فيها يعيش فى كنفه وعلى ما يجود به فى غدواته وروحاته : فهل يصح أن يكون هذا جزاؤه من مراقب الإذاعة العام ؟ وماذا ترك للمراقب الخاص ومن دونه ... !

لا تكتبوا عن أشياء :

شغل البريد الأدبى فى الرسالة — منذ أكثر من شهر — ببحث نحوى أثاره الأستاذ محمود البشبيشى فى كلمة « أشياء » ولا تزال المناقشة متصلة بين الأستاذ ومناظريه ، وهى مناقشة لا طائل تحتها ، فسواء أكانت أشياء على وزن أفعال أم على وزن فعلاء ، وسواء أكانت جمع شىء أم جمع « لا شىء » وسواء أكانت ممنوعة من الصرف أم ليست ممنوعة منه ومستعملة كالممنوع

كل ذلك لا أثر ولا نتيجة عملية له ، لأن الكلمة «أشياء» تنطق وتكتب وتقرأ وتفهم ، فلا تختلف فى شىء من ذلك على أى وجه من تلك الوجوه . وأنا لا أنكر النقد النحوية واللغوية التى يتعقب بها كاتبوها زلات الأقلام ، فهذه رقابة لغوية مفيدة على أن يكون « الرقيب » جيد التحصيل حسن التصرف غير متشدد ولا متعسف . أما الجدل فى التعليلات النحوية وما ماثلها فلا غناء فيه . ثم أريد أن أسأل الأستاذ أحمد أحمد العجمى : أيهما أولى بالتأمل والتثبت ، إحصاء المقاطع «إن إن» أو ملاحظة الفرق بين الماضى والمضارع ؟ وأرجو أن يكون قولك : «ولا يقال أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا فى الدعاء كقول ذى الرمة : ولا زال منهلا بجرعائك القطر » أرجو أن يكون هذا الكلام الذى يريد أن يمنع دخول لا النافية على « أزال » المضارع من هفوات العلماء ...

وبعد فلم لا يترك أستاذنا البشبيشى هذه « الأشياء » ويعود إلى الروض[1] ؟

مسابقة القصة فى الإذاعة :

كانت إدارة الإذاعة قد أعلنت عن مباراة فى القصص ، وألفت لجنة للتحكيم فيما يقدم إليها برياسة الأستاذ عباس محمود العقاد وعضوية الأستاذين محمد فريد أبو حديد بك ومحمود كامل المحامى . وقد انتهت اللجنة من عملها وأعلنت نتيجة المباراة كما يلى :

لم يفز أحد من المشتركين فى المباراة بجائزة من المرتبة الأولى وفاز بالجائزة الثانية — وقدرها ثلاثون جنيها لكل فائز — ثمانية متبارين . وفاز بالجائزة الثالثة — وقدرها عشرون جنيهاً لكل فائز — اثنا عشر . وقبل عدد من القصص لتذاع بالمكافأة المعتادة ، وعينت قصص أخرى يختار منها للاذاعة .

وقد بدت فى هذه المسابقة ظاهرة تكررت فى غيرها من المسابقات الأدبية المختلفة التى أجريت فى السنوات الأخيرة ، وهى إحجام المعتدين بأنفسهم من ذوى الانتاج الجيد عن دخول هذه المسابقات ، وقد نشأ عن هذه الظاهرة خلو المرتبة الأولى فى مباراة الإذاعة . ويحدث أن تسأل شاباً من المعروفين بالنشاط الأدبى : لم لم تدخل مسابقة كذا ؟ فيجيب : قد تقدم إليها فلان وصلته بفلان (أحد المحكمين) وثيقة ... وأنا لا صلة لى بأحد منهم . ومما يذكر — اعتباطاً — أن بين الفائزين فى مسابقة الإذاعة موظفين فيها .

من طرف المجالس :

قال المتحدث : أرأيتم ما نشر بإحدى المجلات الشهرية من شعر شاعرين : ذكر وأنثى وصورة لهما ؟

ولم يبد على الجالسين أنهم رأوا شيئاً من ذلك ، فنظروا إليه متسائلين ، وقال قائلهم :

— وكيف كان ذلك ؟

— عبرت الفتاة (ا) عن لواعج فؤادها فى أبيات ، ورد عليها الدكتور (ا أيضاً) بأبيات ضمنها هواه ، ونشر كل ذلك تحت صورة اضطجع فيها الشاعر على سرير ، ووقفت الفتاة بجانبه

— وما معنى هذا الوضع ؟

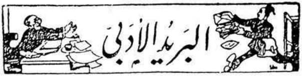
— لا أدرى ، ولعل المعنى فى بطن الشاعر ... على أن الجدير بالسؤال هو إيثار الفتاة هذا الشاعر وهو كما نعلم مثل من دعاه الغوانى عمهن !

قال ثالث : ألا يدل هذا على أن الأمر بينهما هوى شعر ؟

قال آخر : ولم لا نقول إنها اختارته على طريقة فقراء الهند ؟

عباس خضر

(١) إشارة إلى مقالات الأستاذ التى كان يكتبها فى الرسالة منذ سنوات بعنوان « عودة إلى الروض » .



لا أزال عند رأيي في (أشياء)!

قبل معاودة البحث في هذا الموضوع أرى لزاماً أن أحمد للأستاذ الفاضل أحمد العجمي جنوحه بالمناقشة إلى الهدوء والأناة وهما أساس أدب البحث، وطريق الوصول إلى الحقيقة.

ثم أرجع فأكرر أنني لا أزعم أن كلمة (أشياء) وردت مصروفة في التنزيل أو في غيره من الكلام؛ ولكني أعتقد أن علة عدم صرفها في التنزيل — في سورة المائدة — ترجع إلى خصوصية سامية مما التزمه القرآن الكريم؛ وهي في هذه المسألة الترفع عن شائبة التنافر بتكرار مقطع واحد حتماً وهو (إن) في الآية الكريمة؛ وإذا كان الشعر خلواً من ورودها مصروفة فالشعر محل التساهل؛ يتحكم الوزن فيه فيصرف ما لا ينصرف، ويمنع صرف ما ينصرف، إلى غير ذلك مما لا يخفى على الأدباء؛ أما ورودها ممنوعة في النثر فهو إتباع للوضع الذي وجدت عليه في القرآن الكريم، ومسايرة للقدامى من أئمة النحاة الذين ذهبوا في التماس علة المنع مذاهب شتى، أقربها إلى حسن الذوق وأدناها إلى الحق رأي (الكسائي) الذي نقله الأستاذ الفاضل محمد غنيم، وهو مشابهتها الاسم المختوم بألف التأنيث الممدودة؛ وقد التمست فيما هداني إليه البحث علة فنية سائغة لمنعها من الصرف في الآية الكريمة، وهذه العلة تجعل الحكم مرتبطاً بجو الكلمة في الآية، فتعود إلى حقها الطبيعي في الصرف إذا خرجت عن هذا الجو، والعلة — كما يقولون — تدور مع المعلول وجوداً وعدماً؛ وإذا كنت في هذا مخالفاً للاجماع فما هو بإجماع على حكم شرعي ولا أصل معلوم بالضرورة من أصول الدين.

والقول بجواز الوصل بين جزأي آيتي (يس) و (الملك) لا يمنع جواز الفصل بينهما؛ فهو رد احتمالي لا يركن إليه في المحاجة؛ والقول بتساوي الحرف اللين الصامت المادي في كلمة (شيء) والحرف الصاعد الممدود في كلمة (أشياء) مما لا تقره أذن شاعر موسيقي الإحساس كالأستاذ أحمد العجمي؛ فانتقال حركة التنفس من الأول إلى مقطع مكرر وهو (إن) أسهل من انتقالها بعد صعود كبير في ألف (أشياء) إلى ذلك المقطع المكرر حتماً في آية (المائدة).

هذا وقد تسرع الأستاذ في مقاله الثاني فخطأني في قولي (لا أزال أقول ..) وقال وإنها مقصورة على الدعاء محتجاً ببيت قديم أورده (الأشموني والصبان، وابن عقيل، والخضري) وهو قول (ذي الرمة) أو غيره:

ألا يا اسلمي يا دارَ مَيّ على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

وسها الأستاذ الفاضل عن أن (لا زال) خلاف (لا أزال) وأنا لا أحمل منه ذلك إلا على السهو، وإلا فهل غاب عنه قول الله تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) وقوله مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم (ولا تزالُ تطلع على خائنة منهم)؛

وبعد فإني مع الأستاذ العجمي في أن الأسباب التي قالوها في منع (أشياء) من الصرف قد أثقلت كواهل النحويين في الكتب وأفهام الطلبة في المدارس، ولذلك أبديت رأيي؛ والحمد لله على توفيقه. والسلام ...

(الاسكندرية) محمود البشبيشي

إلى المشتغلين بإصلاح الأزهر:

اسمحوا لي يا سادة أن أعبر عن رأي لا أدري أيروقكم أم لا، وذلك بعد أن أحييكم تحيات عاطرة ...

الأستاذ الشرقاوي يريد أن يخرج علماء قوامين على التراث الإسلامي والعربي، وهو مطلب عسير على عامة الأزهريين مهما أدخلوا لهم من إصلاحات. ولم يبق إلا الخاصة وهؤلاء هم الذين يعقد عليهم الأمل ... وهم بعون الله يتخطون السدود والقيود، ويحققون كثيراً من الأماني التي تناط بالأزهر، وشأن الأزهر في ذلك شأن كل جامعة وهيئة، ولا أجد في علم الأزهر خيراً من تعبير الرسول في حديثه المشهور: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً الخ ». فالأرض الطيبة لا بد أن تنفع الناس وتتغلب على عوامل الجفاف. والخبيثة لن تجديها نترات الشيلي التي تحاولون أن تنثروها على سطحها. وأظنني لا يعوزني التطبيق بالأمثلة الحية، فمحمد عبده

لا يزال حياً في الأذهان وغيره كثير . كل على مقدار ما كان يمكن من حيوية .

أقصروا الأمل على الأذكياء وستجدون النتيجة تشجع كثيراً ، ثم هم لن يتعبوكم كثيراً ، وإذا شئتم أن تساعدوهم ، فنقبوا عنهم في حقول الأزهر ، أدام الله غيرتكم الطيبة ، ووسع من المنطقة التي تحتلها في قلوبكم ...

« أزهري »

لا زال في النفي والدعاء :

كتب الأستاذ أحمد أحمد العجمي في رده على أستاذنا الكبير البشبيشي في العدد ٧٩٠ من الرسالة الغراء ما نصه « ولا يقال أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا في الدعاء كقول ذي الرمة ولا زال منهلا بجرعائك القطر » .

وأود أن أقول للأستاذ العجمي أن « زال » تدخل عليها « لا » النافية ولا مانع في ذلك كما تدخل عليها « لا » في الدعاء وكل ما قيل هو أن الدعاء في « زال » يكون « بلا » خاصة ولم يقل أحد أن « لا » مقصورة على الدعاء وقد مثل الأشموني وغيره من النحويين للنفي بقوله تعالى « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » .

فعلى هذا قول الأستاذ البشبيشي « أنا لا أزال أقول » صحيح لا خطأ فيه ...

عمر اسماعيل منصور

١ — مجلات الثقافة في المدارس الأولية النموذجية :

أعلنت وزارة المعارف أنها سترعى المدارس الأولية النموذجية (مدارس المرحلة الأولى الجديدة في مصر) بما تعمله في مدارسها الابتدائية سواء بسواء . . وننظر من هذه الناحية إلى مجلات الثقافة فيها فنراها تجرى عليها (مجلتي الإصلاح الاجتماعي والفلاحة) فقط في حين أنها تشترك للمدارس الابتدائية ودواوين المناطق الإدارية ! في جميع المجلات المأمولة النفع كالرسالة والثقافة والهلال الخ — وحاجة هذه المدارس إلى جميع هذه المجلات أقوى وأشد ؛ لبعد غالبيتها عن المدن — أما كن المكتبات العامة —

ومن ثم فإننا نرجو ألا يأتي العام الدراسي القادم إلا وتكون هذه الرغبة حقيقة واقعة لصالحة العلم والتعليم والتربية الاجتماعية والثقافية في مصر .

٢ — معلمو الشعب في مصر :

ينحدر معلمو الشعب في مصر من أصلاب الغالبية فيه وهم الفلاحون فاشترك حظهم وحظ هؤلاء مع الحكومات المصرية المتعاقبة شداً وجذباً ومداً وجزراً ! ! وقد انتهت بهم هذه الحال إلى أن يحرموا في هذا العهد من (التنسيق) دون غيرهم من موظفي الدولة ! ! — وهذا العمل لا يضر بنتائجه الخفية والظاهرة هؤلاء المعلمين بالذات ، وإنما يتأثر به المجتمع المصري الذي يرتبط بوجودهم في كل مظاهره وحقائقه — وإذا كان هؤلاء المعلمون بحق هم رسل الثقافة الشعبية في الديار المصرية ، فقمين بمجلة الرسالة وهي من تعرف فضلهم وتقدر صنيعهم أن تسجل في صفحاتها هذا العمل الذي لا يتفق مع الحق والعدالة والمساواة بين أبناء الأمة قبل أي اعتبار آخر !

خورشيد عبد العزيز
معلم دمرة

تصحيح :

ورد في مقالي السابق عن رقص السماح أن أحد المختصين في حفظ الموشحات من المتوفين الشيخ صالح الجدبة كان يحفظ عشرة آلاف موشح ، والصواب ألف موشح وأن أحد كبار العازفين على الكمان من الحلبيين توفيق الصباح والصواب توفيق الصباغ الملقب بسلطان الكمنجة الموسيقار المعروف ولذا اقتضى التنويه والإفصاح .

(دمشق) حسني كنعان



الانتظـــــار

للكاتبة الامريكية سنزى أورموند

لقد أخبرها بأنه سيعود إلى الدار بعد انتهاء الحفلة قبيل منتصف الليل . ولكن الساعة الصغيرة القائمة على المنضدة كانت تشير إلى الواحدة صباحاً. إنه لم يسبق له أن تأخر مثل هذا التأخير تأخر وحيداً وبدونها .

ورقدت تحت الأغطية فى فراشها قلقة مضطربة . كانت مجهدة من العمل . وكانت كل حاسة فيها تصيح بها أن استريحى ولا تقلقى كل هذا القلق على ولدك لقد بلغ السادسة عشرة . إنه الآن ليس طفلاً

وتذكرت ... لقد ذهبت مرة فى صباها إلى النزهة ولم تحضر إلا ليلا . وعندما عادت ورأت الستار القائم على نافذة غرفة الجلوس ينسدل ارتبكت واضطربت . إن والدتها كانت تتطلع خلال النافذة تترقب عودتها فى قلق ولهفة . إنها لا تزال تذكر كلمات أمها وهى تقول لها « انتظرى يا عزيزتى وستشكريني فى يوم ما على شدتى نحوك » . ولكنها كانت فى سن السادسة عشرة ولم تكن لتعى معنى لهذه الكلمات ، ولا لما قالته والدتها بعد ذلك « أنها ليست كمسألة عدم الثقة بك ، ولكن كثيراً ما تقع الحوادث بين أطيب العائلات فى هذه الأيام »

ولا تدرى لماذا كانت تهيجها هذه النصائح عند بلوغها هذا السن الذى أدركت فيه الشعور بالحرية الشخصية . ذلك الوقت التى بدأت تخفى فيه بعض أسرارها ، وتشعر بأنها تخصها وحدها ، تخص عالمها التى تعتقد أنه ملك لها .

ولكن ... كانت والدتها تتدخل فى كل شؤنها ، فتفتح رسائلها قبل أن تعود من المدرسة . إنها لا تلومها على رقابتها ، ولكنها ليس لها حق فض رسائلها ، إن التدخل فيما يخصك فى هذا السن هو إهانة لا تغتفر ، ولا يصح أن يحدث ذلك لأولادك كل ما تستطيع عمله هو أن تراقب فقط ، وعند ما يكبرون ويقبلون على الزواج .

نعم ، لقد اكتمل نضجها وتزوجت ، ثم ترملت بعد عامين ، وها هو ذا ولدها قد نما عوده ووصل إلى أول مرحلة الشباب . إنها لم تفكر قط فى الاطلاع على رسائله كلا ، إنها لن تهتم بذلك الفعل ، ولكنها الآن راقدة فى فراشها مغمضة العينين ، وقد انسابت روحها تخترق ستار النافذة وتتساءل : لماذا لم يحضر ؟ وما الذى حدث له ؟ وعزمت على أن تسأل عنه فى المستشفيات وفى أقسام البوليس إذا لم يعد بعد نصف ساعة ... من يدرى ؟ فلعله راقد الآن فى غيبوبة ، أو ملقى فى حفرة وقد سلبت منه ساعته اليدوية التى أهدتها له فى عيد ميلاده الأخير والخمسة دولارات التى فى جيبه ، إن الكثير من الحوادث أحياناً ما يقع بين أطيب العائلات ! وطاف بفكرها خاطر مزعج ، إن على ولدها أن يعبر تلك الشوارع التى يجتازها سائقو السيارات بعرباتهم غير مبالين بنظام المرور فى ذلك الوقت المتأخر من الليل ، وودت فى تلك اللحظة لو أنها كانت تعيش فى الريف بعيداً عن هذه السيارات .

وهبت واقفة وأقبلت على النافذة تتطلع إلى الشارع . يا إلهى ما هذا الضباب المخيم فى الخارج ؟ كان يتكاثف ويستقر فى صمت وسكون . وتركت طرفى الستارة ، ثم زحفت داخل الأغطية فى عصبية . وحاولت أن تسيطر على أعصابها ، وأغمضت عينيها . ولكن . . سرعان ما فتحتهما عند سماعها صوت أقدام تدب خفيفاً على إفريز الشارع . حمداً لله ها هو ذا قد قدم .

وترددت الخطوات ، ثم سمعت باباً يفتح . لم يكن باب شقتها بل كان باب جارها الكهل . ثم سمعت صوت سيارة الإسعاف فهبت من فراشها بقلب واجف ، كانت تسمع رنين جرس السيارة كأنه العويل ، وسرعان ما تلاشى الصوت تدريجياً واختفت السيارة .

وأقبلت على النافذة مرة أخرى وتطلعت ، وإذا بولدها قادم صوب المنزل ، يسير وقد انعكست عليه أنوار الشارع . نعم إنه هو ولا يمكنها أن تخطىء مشيته وحركاته . كانت ساقاه الطويلتان تخطران فى خطوات متسمة نحو الدار ، وكان يصفر لحناً شائعاً ، وكتفاه يتمايلان فى حرية وكأنه يقول : « إن هذا هو عالمى ... إننى رجل وهذه دنياى » . وشعرت بالغضب يعصف بها ، ثم بالحزن ينتابها ، كانت تود أن تشاركه ذلك الشعور بالحرية ، ولكن قلقها عليه حال بينها وبين ذلك . وتبين لها حقه فى السير ، لا فى

هذا الشارع الذى تحفه الأشجار فحسب ، بل فى الأزقة المظلمة والأماكن الأخرى ، بل حتى فى الأركان المظلمة من عقله . إن وجوده معها تحت سقف واحد لا يعطيها الحق فى امتلاكه امتلاكا كاملا . وليس لها حق مشاركته أفكاره إلا إذا اضطرتها الظروف اضطراراً . إن الرجل له حق العيش فى عالمه الخاص . وإذا سمت أفكاره حتى وصلت إلى الأشجار التى يسير تحتها وإذا ما جملته يصفر مسروراً ، إذاً لوجب عليها أن تكون سعيدة من أجله . ومع ذلك ... كان فى استطاعتــه أن يخبرها تليفونياً .

وعادت إلى فراشها وتنفست فى هدوء عندما أقبل ولدها ، وحياها فى مرح وهو واقف على عتبة غرفتها وقال « لقد ظننتك نائمة إن الساعة الآن حوالى الثانية » . كان يشوب صوته نبرات من الحماس . وتمطت ثم مسحت عينيها وتمتمت قائلة .

— يغلب على ظنى أنى نمت وتركت النور مضــاءاً دون أن أطفئه . مساء الخير يا عزيزى . ثم مدت يدها لتطفئ النور . ولــكن ولدها تقدم فى الغرفة ووقف أمام فراشها ينظر إليها ، ثم قال

— أظنك لم تسمعى ما قلته . إنها الآن الساعة الثانية صباحاً .

وتظاهرت بالدهشة ثم قالت — نعم إنها الثانية . حسناً ... ليلة طيبة يا بنى . ونظر إليها مستغرباً ثم قال — ألست عاتبة على ؟! فتثاءبت وقالت — ولماذا أعتب عليك ؟

— ولــكنى قلت إنى سأعود قبيل منتصف الليـل . إنى آسف إذا كنت قد أقلقتك . وأظن أن جدتى قد رفعت عقيرتها حتى السقف . إنه لافائدة من إخباره الآن أن جدته قد رحلت غاضبة بعد أن يأست من التحدث معها عن «طيشه وتأخره» فقالت

— لم أكن قلقة على الأطلاق : — هذا حسن . كان يجب على أن أخاطبك تليفونياً ، ولــكن ... ما الأمر ؟ ! هل الضوء قوى ؟! وأزلت عينيها عن موضع أحمر الشفاة الملطخ به خده وقالت فى بطء أجل ... إنه الضوء ... وضغطت على أداة إطفاء النور ، وغمر الليل الهادئ الغرفة . إنها لن ترَ أحمر الشفاه فى ذلك الضوء . كانت تعرف بأنه لو كان عنده ما يقوله لها هذه الليلة فأنها لا ترغب فى أن تفرض عليه القول فرضــاً كأنه واجب يتحتم عليه أداءه . إنه ليكون أقل ارتباكا إذا ما اعتقد بأنها لم تلحظ هذه البقعة الحمراء . ولــكنها كانت تشعر فى قرارة نفسها أن ما شاهدته لم يكن سوى نصف الحقيقة . وكانت غريزتها تهيب بها أنه يتحتم عليها أن تنتظر حتى يطلعها على النصف الآخر ، أو ... أو يفضى إليهــا بالأكذوبة التى تخشاها . فقالت : « هل كان هناك فتيات فى هذه الحفلة الليلة ؟ » انساب ذلك السؤال منها دون أن تتمكن من كتمانه ، وانتظرت فى لهفة الرد عليه ، وخيل إليها أنه أبطأ فى الرد كثيراً عندما قال : « كلا ... كلا » . ولم ينظر إلى عينيها عندما استمر يقول : « لم يكن هناك إلا رفقائى ... ولــكن ... يوجد شىء آخر أود أن ... » فقاطعته قائلة وهى تحاول الاحتفاظ بهدوئها : ليس الآن يا عزيزى .. فى الصباح . فتمتم قائلا : حسناً ثم استدار وسار صوب الباب وأقفله وراءه فى هدوء ، وجلست فى فراشها متصلبة الجسم حزينة القلب ، لقد كذب عليها أولى أكاذيبه ، أكانت هى الأولى حقاً ؟ كم عــدد الأكاذيب التى سبقت هذه الــكذبة ؟ وشعرت برغبة جارفة تدفعها إلى القفز من الفراش لتواجهه بخديعته وتقول له : التفت إلى . ورفض قلبها أن يلفظ شيئاً خلاف هذين اللفظين . التفت إلى ... ثم ماذا ؟ إنها تشعر بأنه لا فائدة من مواجهته ، إنه ليــكفى أن تنظر إلى وجهه ، فيحدق إليها بطريقته المحبوبة ، وإذا بشىء ينغلق خلف تلك العينين الرماديتين .

إن خوفها كان أكبر من ألمها ، خوفها من أن تكون أمها على حق ، ربما كان ولدها فى حاجة إلى المزيد من الرقابة . وشعرت برجفة تسرى فى جسدها ، كان يجب عليها أن تواجه كل شىء دون مواربة . وسمعته يتحرك فى الحمام وهو ينظف أسنانه ويخلع حذاءه ، ثم سمعت المــاء يجرى على جسده ، ووقع خطواته على الأرض ، ومسح جسمه بالنشفة ، ثم خرير الماء المتساقط من الصنبور . كان له وقع غريب فى أذنيها كأنه صوت لحن موسيقى واستمر الماء يتساقط . ها هو الآن فى المطبخ يبحث عما يأكله كان يحاول ألا يحدث صوتاً حتى لا يقلق نومها . وانطفأ النور فى المطبخ ولما تزل جالسة فى فراشها ، ثم استمعت إلى وقع خطواته تتلمس طريقها فى الظلام وهو يسير فى البهو وفى غرفة الجلوس ، إن هذه الأصوات العادية كانت كأنها تجمع فى ذاتها سر الحياة ربما كانت غير عادلة نحوه ، يجب أن يكون هناك شرح مقبول لهذا الطلاء الأحمر ، واستمعت مرة أخرى إلى خرير الماء المتساقط وخيل إليها أن نغماته قد اختلفت عن ذى قبل . ومرت بيدها على وجهها ، لقد فشلت فى أداء مهمتها كأم ، إن والدتها على حق ، لو كانت قد تعهدت ابنها كما نصحتها لمــا كذب عليها الآن ، إنه لم ينو الذهاب بتاتاً إلى تلك الحفلة ، لقد حاول أن



١ – أعلام الشعر الفرنسي وطرائف من آثارهم

تأليف الأستاذ العوضي الوكيل، والسيدة س. عبد الرازق صبري

هذا كتاب يحتوي على إهداء وتمهيد وتراجم ومختارات :

فالإهداء – كما كتبه الأستاذ العوضي – « إلى حضرة صاحب المعالي الأستاذ ابراهيم دسوقي أباظه باشا . منذ عامين سميت ابني الثاني باسمك وكأنه كتاب أرفعه إليك ، وها أنذا أرفع هذا الكتاب إليك وكأنه ابن أسميه باسمك » ولا عجب فالباشا أهل لما أهدي إليه لما يسبغه على الأستاذ من فضله وتقديره ووده أولا ، ولأنه يحسن فهم الكتاب المهدى إليه ثانياً ، فهو أديب مطلع على كثير من الآداب العربية والغربية ، والمؤلف بهذا الإهداء يصطاد عصفورين بحجر واحد . فهو بهديته يعلن بره واعترافه بالجميل لموليه ، ويقدمها لمن يقدرها قدرها .

والتمهيد قصير : يتضمن « تعريفات » موجزة بأسماء النزعات الأدبيـة الواردة في كتابه : كالكلاسيكية والرومانتيكية والليريكية والبرناسية والرمزية ، وهذه التعريفات غير منطقية لأنها غير جامعة ولا مانعة ، ولا توضح الفوارق الحاسمة بين نزعة وأخرى من النزعات الأدبية مع أن التوضيح هو المقصود

والتراجم والمختارات هي الجزء الرئيسي في الكتاب والمترجمون خمسة : أولهم الفونس دي لمرتين (١٧٩٠ – ١٨٦٩م) صاحب رواية روفائيل التي ترجمها الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات من الفرنسية إلى العربية ترجمته العاليـة المشهورة ، وقد اختار له المؤلفان قصيدة عنوانها الوحدة (L, isolement) فترجماها شعراً ثم نثراً . وثانيهم فكتور هوجو (١٨٠٢ – ١٨٨٥ م) صاحب رواية البؤساء التي ترجمها الشـاعر المصري المرحوم حافظ بك ابراهيم ترجمته العالية المشهورة أيضاً . وقد اختار له المؤلفان قصيدة عنوانها « الضمير » فترجماها نثراً وشعراً ، وقصيدة عنوانها « واترلو waterloo » فترجماها شعراً وعقبا

يخبرها بشيء الليلة ، ولكنها لم تحتمل الاستماع إليه . وسمعت همساته صادرة وراء الباب تقول : « ألازلت مستيقظة ؟ » فقالت : « ادخل » ربما كان من الأفضل لها أن تعرف كل شيء الليلة ، وأقبل عليها وهو يحمل زجاجة قد امتلأ نصفها باللبن ، وجلس على المقعد الكبير ، ها قد حان وقت الاعتراف ، وجعل يرتشف اللبن ثم قال فجأة : « لقد تركت الحفلة مبكراً . كان ذلك عند الساعة الثامنة ... » . فقاطعته قائلة : يا عزيزي ... يخيل إلى أني أسمعك وكأنك جالس تؤدي شهادة في محكمة . كلا . لا أود فقاطعها قائلا وهو ينظر إلى وجهها وقد تدفقت الكلمات من فيه : « الحقيقة أني خرجت مع فتاة ، ولكني لم أرغب في أن أطلع أحداً على ذلك » ونظرت إلى ولدها ، كان في وجهه البراءة ونضارة الشباب ، إن ألم الوضع لم يكن الألم الوحيد للأم ، إن مهمتها تنحصر في شيئين : أن تكون أما وأن تكون أباً . وها قد حان الوقت الذي يجب أن تؤدي فيه مهمتها على الوجه الأكمل ، والذي يجب أن تدرك فيه دون مرارة بأنه إذا توجهت نظرات ولدها إلى حقيقة الشباب ، فإنها يجب أن تودع صباه . واصطبغ وجهه بحمرة الخجل وهو يقول : « كانت تنتظرني مع أبويها ، وذهبنا معاً ، وكنت على وشك أن أخاطبك تليفونياً ، إلا أني لم أستطع الاتصال بك » . ثم وضع الزجاجة على المنضدة ونهض وقبل والدته . وحياها تحيـة المساء . وعند ما اقترب من الباب تردد ثم قال لا أظن أني ارتكبت غلطة واحدة . لقد قلت لوالدتها « نعم ياسيدي » فابتسمت وقالت « لا تفكر في ذلك . وعلى فكرة ياحبيبي إذا كانت قد أخلفت الميعاد فما الذي كنت تفعله؟ » وفكر لحظة ثم قال « لا أعلم . أظن كنت سأقول لنفسي « حظ عاثر » ثم أترك الأمر يقف عند هـذا الحد . ألا تعلمين أنها ستقابلني لأعرفك بها وبوالديها ؟ على أية حال أظن أني عملت كل شيء على ما يرام ، أليس كذلك ؟ » فابتسمت وقالت في إخلاص « أجل ، لقد قمت بكل شيء على الوجه المرضي » وذهبت وجلست يغمرها الضوء وهي تبتسم لنفسها . نعم لقد أدى كل شيء على الوجـه الأكمل . إنه لم يحدثها عن القبلة . هذا حسن . إنها فخورة به . لقد أصبح رجـلا مهذباً . ثم أطفأت النور واستقرت في فراشها في رضاء تام . لقد انقطع خرير الماء . وأسفت على ذلك . كان في الحق صوتاً مبهجاً .

(الأسكندرية) محمد فتحي عبد الوهاب

عليها بشروح موجزة لبعض الأعلام الواردة فيها .

وثالثهم الفريد دى ڤينى Alfread de Vigny (١٧٩٧ ، ١٨٦٣ م) وقد اختارا له قصيدة عنوانها النفير Té Cor في قرابة ثمانين بيتاً ، ومهدا لها بتصوير القصة التى بعثت عليها كما حدثت والفرق بينها وبين صورتها محرفة في القصيدة وأتبعاها بتفسير قصير لبعض أعلامها ، وترجما له أيضاً قصيدة عنوانها « موت الذئب » شعراً ونثراً . ورابعهم ألفريد دى موسيه Alfread de Musret (١٨١٠ — ١٨٥٧م) صاحب رواية « اعترافات فتى العصر » التى ترجمها المرحوم فليكس فارس ، وقد اختار المؤلفان للشاعر قصيدة عنوانها « ليلة مايو La Nuit de Mai » فترجماها شعراً في قرابة تسعين بيتاً ، ثم ترجماها نثراً ، وقدما لها بمقدمة قصيرة تصف الحالة التى كان عليها الشاعر حين نظمها .

وخامسهم بول فرلين (١٨٤٤ — ١٨٩٦) وهو أقل الأعلام حظاً من الدراسة والمختار ، فدراسته وقعت في ثلاث صفحات ونصف صفحة ، ولم يختر له المؤلفان غير قصيدة واحدة عنوانها « الخريف » ترجماها في ثمانية أبيات .

ومن هـذا العرض نفهم ما في العنوان من مبالغة ، فإن « أعلام الشعر الفرنسى » ليسوا خمسة فحسب والخمسة المترجمون كلهم من شعراء القرن التاسع عشر وحده ، وليسوا مع ذلك كل « أعلام الشعر الفرنسى » فيه . ويلاحظ أن دراسة الأشخاص واضحة جيدة ، وأسلوبها شبيه بالأسلوب الإنسكلوبيدى فهى تعريفات خفيفة تتناول ظواهر الأشخاص ولا تنفذ إلى ماوراءها كما يلاحظ أن القصائد المختارة سهلة قريبة التناول في « صورتها العربية » ولا أستطيع الحكم على الترجمة من حيث أداؤها للأصول الفرنسية (وهى ما يعول المؤلفان عليه) إذ لا علم لى بها . ولكننا نستطيع أن نقارن بين الترجمتين الشعرية والنثرية للقصائد التى ترجمها المؤلفان : شعراً ونثراً معاً . والمفهوم لى أن الترجمة النثرية أدنى إلى الأصل ، فإن الناثر أكثر حرية وقدرة على التزام الأصل من الشاعر ، إذ لا تتكاءده عقبات الوزن والقافية التى تتكاءد الشاعر فتضطره في بعض المراحل أن يحيد عن الطريق قليلا أو كثيراً ويظهر أن الأمر مع المؤلفين كذلك .

وهذا مثال لم أتكلف في اختياره : فهو صدر القصيدة الأولى لأول الأعلام كما رتبوا في الكتاب وعنوان القصيدة « الوحدة » المرتين ، والمثال قد اجتمعت له ثلاث أوليات : والترجمتان المؤلفين : قالا شعراً :

« أسرح الطرف في الوادى الذى انبسطت
أمام عينى ووجدانى مرائيــه
والشمس تسبح نحو الغرب في طفل
وقد جلست حزين الفكر عانيــه
في ظل « صفصافة » [1] أمست كهولتها
تذرو الشجون على الوادى وما فيه
أرى هنا غالباً في وحدة عجب
مشرداً وكأن القلب في تيه »

وقالا نثراً ، والنثر والشعر يتقابلان ، فهما ترجمة لشيء واحد:

غالباً ... على الجبل ... وفى ظلال بلوطة معمرة
أجلس ساهماً حزيناً والشمس في ساعة الغروب
أسرح الطرف هنـا وهناك في رحاب الوادى
الذى انبسطت أمام عينى لوحاته المختلفـة »

وهناك ترجمة نثرية أخرى لهذه الفقرة بقلم أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات :

« جلست محزون القلب مستطار اللب على قلة الجبل وتحت ظل السنديانة العتيقة ، أشيع شمس النهار وهى تغرب وأسرح بصرى في وجوه السهل وهى تتغير: » [2]

٢ — شعراء وأدباء في جيش الفاروق

تأليف الأديب محمود عيسى الضابط بالجيش المصرى

قرأت هذا الكتاب مغتبطاً فخوراً ؛ فكاتبه ضابط بالجيش المصرى الباسل ، وسكرتير تحرير مجلته ، وقد عرض في كتابه تراجم تسـعة أدباء وشعراء من ضباط جيشنا الأحياء — متعهم الله بالعمر الطويل العريض — وأورد في تراجم بعضهم نبذاً من آثاره شعراً أو نثراً مع الإشارة إلى أعماله التأليفية . وهـذا الكتاب آية على اهتمام من ضباطنا بالشعر والأدب إلى جانب عنايتهم بالكتابة في فنون الحرب ورجالها ومعاركها قديماً وحديثاً ويظهر من فهرس كتب المؤلف المنشور في آخر كتابه

(١) جاء في الهامش ما نصه : « في الأصل الفرنسى » « بلوطة » وقد اقترح علينا أن نغيرها هكذا معالى الأستاذ ابراهيم دسوقي أباظه باشا . (ص ١٥) (٢) كان الأستاذ الزيات قد ترجم رواية «رفائيل» للمرتين وذيل ترجمتها المشهورة بترجمة قصيدته « البحيرة » و « الوحدة » أيضاً . وهذا النص الذى أوردناه مقتبس من هذه الترجمة (الطبعة الأولى سنة ٢٦ م ص ٢٠٨) .

هذا أنه غير « حديث عهد » بالتأليف ، فله قبل هـذا الـكتاب عشرة غيره : منها ثلاثة قصصية وسبعة في قادة الحروب ومعاركها القديمة والحديثة وأدواتها ، ومن هذه العشرة أيضاً سبعة استقل بتأليفها وثلاثة اشترك معه فيها البكباشي عبد الرحمن زكي أحد من ترجم لهم في هذا الـكتاب .

وإذاً فلا علينا إذا لم نبذل من « المحاباة » في حساب مؤلف « قديم » كصاحب هذا الـكتاب « كل » ما نلزم أنفسـنا تقديمه منها للمبتدئين والشداة ، ولا علينا أيضاً ألا نعده « ضيفاً » في جماعة المؤلفين بعد هذه الآثار الـكثيرة مع أنه ليس مؤلفاً محترفاً كالمنقطعين للبحث في الحياة . هـذا الـكتاب يشتمل على إهداء وتعريف للناشر بالمؤلف وتسعة فصول في تسعة ضباط بجيشنا المصري: فأما الإهداء فإنه « إلى راعي السيف والقلم حضرة صاحب الجلالة الفاروق المعظم » ولا غرابة فهو عنوان ولاء من ضـابط أديب لراعي سيفه وقلمه ، والـكتاب كله في تعريف « شـعراء وأدباء في جيش الفاروق » كما كتب في العنوان .

وأما تعريف الناشر بالمؤلف فصفحة عنوانها « هو » وصف فيها المؤلف « شكلا » وكشفه « كشف نظر » وعرفه فيها بأنه اشتغل بالأدب في الرابعة عشرة من عمره ، وأنه يقرض الشعر ويكتب القصص ، وأنه في خلقه « مستقيم » ينأى بنفسه عن إغراء المرأة حتى استأثرت به أخيراً « قديسة » تراه يفنى في تقديسها فهو تعريف « تقريري » للقراء أن يفهموا منه ما يفهمون كما يفهمون . وأما المقدمة ففي الصلة بين الجندية والأدب وفيها يقرر المؤلف أن الجندي إنسان عاطف كسائر الناس لا وحش شغوف بالدماء ، وأن القتال بغيض إليه إلا حين يكون أداء الواجب ، وأن الأدب والجندية لا يتنافران ، وفي هذه المقدمة « صرخات في الهواء » ، إذ يحاول المؤلف فيها تزييف أوهام لا قرار لها في عقل يحسن قراءة الأدب .

وأما الفصول التسعة ، فقد تحدث في كل منها بضابط من هؤلاء الضباط التسعة : اللواء عبـد المنصف محمود باشا ، والبكباشيين عبد الرحمن زكي ، وعبد الحميد فهمي مرسي ، ومحمد عبد الفتاح ابراهيم ، والصاغين محمود محمد الشاذلي ويوسف السباعي ، واليوزباشيين حسين ذو الفقار صبري وسيد فرج ، والملازم الأول مصطفى بهجت بدوي ، وهم على هذا الترتيب في الـكتاب تبعاً لرتبهم العسكرية لا لشيء آخر مما يقدمه على سواه غير « الرسميين » في التقدير .

ويلاحظ بلا عناء أن المؤلف في هذه التراجم عامة « كثير السخاء » فيما يسبغه على مترجميه من « فضل ونبوغ » ، وهو — مع هـذا السخاء الـكثير — لا يقدم للقارئ من آثار « إخوانه » ما يبرر « سخاءه الغامر » حتى يكون له من ذلك « بعض الشفاعة » عند من يحبون من القراء « المجاملات المعقولة » في حدود « العدل » فضلا عن القراء المتزمتين الذين يبخلون بثقتهم حتى تقدم إليهم البراهين الناصعة الـكافية على كل ما يطلب إليهم الثقة به من أحكام .

فالمؤلف في بعض التراجم يكتفي بالـكلام في أخلاق المترجم وأطواره في المعيشة والجندية ، ويسكت عن إيراد شيء من آثاره وهو في سائر التراجم يورد للمترجم « نماذج » ولـكنها « متواضعة » غالباً ، فإذا حاولنا تلمس السبب لم نجد أمامنا إلا فرضين : فإما أن لهؤلاء المترجمين « نماذج عالية » ، ولـكن المؤلف لم يحسن الاختيار ، وإما أنه لم يجد لديهم نماذج خيراً مما ذكر ، ولعل أول الفرضين أصح ولو في بعض التراجم لا كلها ، ولقد اطلعنا على آثار بعضهم فقرأنا لهم نماذج خيراً مما وجدنا في هذا الـكتاب ولا سيما اليوزباشي سيد فرج والبكباشي محمد عبد الفتاح إبراهيم قال المؤلف في مقدمة فصوله معرفاً بها : « هذه صور سريعة التقطتها عدسة المصور لطائفة من الشعراء والأدباء الذين يحتويهم جيش الفاروق آثرنا أن نعرضها في هذا « الألبوم » دون « رتوش » ... » . والحق أن في هذا التعريف كثيراً من الصدق فالتراجم « صور سريعة » ، ولولا ذلك لـكان من الممكن أن تكون الصور أبرز وأثبت ، ولقد طبعت صور منها على « ورق نشاف » ، فجاءت مضطربة الوضع ، حائلة الألوان ، مطموسة المعالم ، وقد استعمل « المصور » في استكمال بعضها كل مهارته الفنية ، وكل ما لديه من أدوات الزينة لوضع « الرتوش » ، ومن أجل ذلك ، ولحسن ظننا بالمصور القدير لا نزال ننتظر « إعادة » هذه الصور على حقيقتها بلا « رتوش » أو مع « رتوش » خفيفة لا تخفي الحقائق ، فالغرض من التعبير التوضيح لا التعمية ، ونطمع في إضافة « صـور » جديدة توضع جميعاً في « ألبوم » جديد حتى تكون جديرة لوجه الحق بالتسجيل والحفظ ، ومؤلفنا أو « مصورنا » أولى من يقوم بهـذه المهمة ، وما هي بالمهمة العسيرة على « مصور » مثله طال عهده « بالتصوير » ، والله يوفقه إلى خدمة مليكه وإخوانه وبني وطنه .

(القاهرة) **محمد خليفة التونسي**